تمكين المقام في المسجد الحرام

رسالة مقامية في فضل المقام والبيت الحرام

«وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ»

تأليف

الشيخ علي دده البوسنوي

المتوفى سنة ١٠٠٧هـ / ١٥٩٨م

حققها وقدم لها

أحمد جمعة عبد الحميد

ماجستير في علم المخطوطات وتحقيق النصوص

معهد المخطوطات - القاهرة

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث ، الجزيرة للنشر والتوزيع

٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

اسم الكتاب : تمكين المقام في المسجد الحرام
رسالة مقاميه في فضل المقام والبيت الحرام
اسم المؤلف : علي دده البسنوي
اسم الناشر : المكتبة الأزهرية للتراث
العنـــوان : ٩ درب الأتراك خلف الجامع
الأزهر الشريف
رقم الإيداع : ٥٧٨٣ / ٢٠٠٨
الترقيم الدولي / I.S.B.N
977 - 315 - 171 - 9



إهداء

إلى روح والدي تغمَّده الله برحمته

إلى ساقي التي انتصبت عليها قامتي عمي العزيز أنور

إلى أمي منحها الله كل الصحة والعافية

إلى زوجتي وأولادي مريم وجمعه





بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمـــة

الحمد لله الذي حفظ برسوم الخطوط ما تكلُّ الأذهانُ السليمةُ عن حفظه، وتَبلُغ بوسائطها على البعد ما يعسُرُ على المتحمِّل تأديته بصورة لفظهِ ومعناه.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة يوقع لصاحبها بالنجـــاة من النار. ويكتب قائلها في ديوان الأبرار، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، الذي اهتزت لهيبته الأسرة، وشرفت بذكره المنابر، وضاقت عن درك وصفه الطروس، ونفدت دون إحصاء فضله المحابر، وبعد.

قال أحمد بن زيني دحلان فى كتابه "الدولة العثمانية"[ص٦]: "إن النَّـــاظر في تاريخ الدولة العثمانية يجدُ أنها من أحسن الدُّول الإسلامية ســـيرةً بعـــد دولـــة الخلفاء الراشدين؛ لأنهم مُتذهبون بالمذهب السُّني صحيح العقيدة، ناصرون لأهـــل السنة، قائمون بتعظيم الصحابة وأهل البيت والعلماء الصالحين، ليس عندهم شــــيء من الزَّيغِ والابتداع، لهم الفتوحات الشهيرة، والجهاد والغزوات الكثيـــرة. قـــائمون بشعائر الإسلام، ولا سيَّما في الحرمين الشـــريفين، فـــإنَّ لهـــم فيهمـــا الصـــدقات والخيرات الكثيرة، وقائمون أيضاً بشعائر الحج وتأمين الطرق للحُجَّاج والزُّوار".

وهذه الرسالة التي كتبها الشيخ علي دده البسنوي دليل قاطع علـــى مـــا سبق، ليست لكونها رسالة كُتبت عن المقَام، ولكن الرسالة دليلٌ على الحدثِ، حيث قام البُسنوي بأمر من السلطان العثماني مراد الثالث بتـــرميم المقـــام الإبراهيمـــي، والذي لم يكن قد رُمِّم من أكثر من أربعمائة عام، وهذا أمر يُـــدلل علـــى اهتمـــام السَّلاطين العُثمانيين سواء مراد الثالث أو الســـابقون عليـــه بالشـــعائر الإســـلامية وتعميرها.

ولقد بلغ السلطان مراد الثالث من الصلاح والتقوى الكثير؛ حيث جعلـــه البسنوي من مجددي الأمة، وأعدَّه العاشر منهم. وأدخله تحت قوله صلى الله عليـــه وسلم: "**إن الله يبعث على كل رأس مائة سنة من يجدد لهذه الأمة دينها**".

ومن الممكن استشفاف ذلك من خلال سيرته حيث هو: مراد ابن السلطان سليم بن سليمان القانوني، هو أحد خلفاء الدولة العثمانية. ولد عام ٩٥٣هـ، وتولى الخلافة عام ٩٨٢هـ بعد وفاة أبيه، وبعد أن تولى السلطة أمر بمنع شُرب الخمر، ولكن ثورة الانكشارية أجبرته على ترك هذا القرار.

وأدخل بولونيا تحت حماية الدولة العثمانية عام ٩٨٣هـ، وجدد للدول الأوروبية (فرنسا والبندقية) امتيازاته. وحدثت ثورة في مراكش في عهده، استعان فيها زعماء الثورة بالبرتغاليين النصارى بينما طلب سلطان مراكش المساعدة من الخليفة العثماني؛ فأرسل قوة انتصرت على البرتغاليين والثُّوار وأعيد السُّلطان الشرعي إلى حكمه.

وفي عهده استغل العثمانيون وفاة "طهماسب" شاه الدولة الصفوية عام ٩٨٤هـ ومقتل ابنه، فوجهوا جيشاً لاحتلال الكرج ودخلوا عاصمتها تفليس عام ٩٨٥هـ ثم أكملوا المسير نحو شروان في أذربيجان الشمالية فدخلوها عام ٩٨٦هـ. طلب العثمانيون من خان القرم أن يساعدهم في محاربتهم للصفويين، إلاّ أنه رفض، فوجهوا جيوشهم لتأديبه بعد أن ساعدهم أخوه، حيث قام بقتله بالسُّم، وانهزم الصفويون في معارك عدة أجبرتهم على التنازل عن عدة ولايات من دولتهم للعثمانيين. وتوفي الخليفة مراد الثالث عام ١٠٠٣هـ.

واختيار البسنوي لهذه المهمة (ترميم المقام وتجديده) أمر ليس بالسهل، فجاء اختياره نظراً لعلمه وتقواه وصلاحه مع أنه من الأقاليم الأوروبية التي فتحتها الدولة العثمانية إبان قوتها وهو إقليم البوسنة. وإذا نظرنا لسيرته ومصنفاته العلمية نجده أنه يستحق هذا الشرف العظيم الذي قام به، وهو ترميم مقام أبي الأنبياء إبراهيم من ناحية، وتكليف السلطان العثماني له بهذا الأمر من ناحية أخرى.

وهذه الرسالة تتميَّزُ عن المصنفات التي كتبت حول الحج والشعائر الدينية والآثار التاريخية في مكة حيث إنها تسجيل لحدث تاريخي، لشعيرة من أهم الشَّعائر وأثر من أهم الآثار الموجودة في مكة المكرَّمة، هذا من جانب. ومن جانب

آخر أنَّ هذه الرسالة كُتبت من قِبَلِ من قام بالحدث ومن كُلِّف بالترميم. وهو الشيخ علي دده البسنوي.

ومن الجانب الفني أيضاً أنَّ هذه الرسالة كتبها بخط يـده، وهـى التـي اعتمدنا عليها في التحقيق، وهذا ما وضحناه في منهج التحقيق.

ولقد سار البسنوي على منهجٍ واضحٍ في كتابته للرسالة حيـث ذكـر منهجه وخطته في أوَّل النَّصِّ، ووضَّحَ وذكر كل المصادر التي اعتمد عليها والتي كان من أكثرها استخداماً كتاب تفسير "الدُّر المنثور" للسيوطي. ثم كتاب السـيوطي أيضاً الموسوم بـ"أيسر الوسائل إلى معرفة الأوائل". والذي استكفى بـأن يسـميه "الأوائل" للسيوطي. ثم اعتماده على أهم وأقدم المصادر التـي كُتبـت عـن مكـة وتاريخها وهو كتاب الأزرقى الموسوم بـ"تاريخ مكة وما جاء فيها مـن الآثـار". وغير ذلك من المصادر.

حقَّقتُهُ واعتمدتُ على نسخة مؤلفه التي يسرها الله لي. والله تعالى أسأل أن ينفع به.

أحمد جمعه عبد الحميد

المنيا. أوَّل المحرَّم ١٤٢٩هـ

المؤلِّف

حياته ومصنَّفاته

[علي دده البوسنوي]

علي دده البوسنوي المعروف بشيخ التُربة، ولد ببلــدة موســتار مــن مضافات لواء هرسك في بلاد بوسنة، وقرأ العلوم ثمَّ سلك الطريقة علــى الشــيخ مصلح الدين بن نور الدين الخلوتي، واجتهد عنده إلى أن صار من جملة خُلفائه، ثمَّ لمّا فتح السُلطان سليمان قلعة سكتوار من بلاد أنكروس ومات بها عند الفتح ودفنوا أمعاءه عند القلعة المذكورة وجعلوا عليه قبَّة وقفوا عليها ضَياعاً. فصار بها علــي دده شيخاً وسكن بها إلى آخر عمره وكان شيخاً جليلاً توفي بقلعة صولنق في سنة سبع بعد الألف([1]).

مصنَّفاته

له من المصنفات: (١) "أسئلة الحكم" وسماه أيضاً بــ "رمــوز الكنــوز"، (٢)"أنوار المشارق"، (٣) **تمكين المقام في المسجد الحرام** (٤) تربيــع المراتــب، (٥) الأصول لأرباب الوصول، (٦) الرســالة الانتصــارية، (٧) ســباعيات فــي الفروع، (٨) محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر، في مجلد مطبوع بمصــر، (٩) مواقف الآخرة، واللطائف، وغير ذلك([2]).

توثيق النص ونسبته إلى مؤلِّفه

أعدَّه حاجي خليفه في "كشف الظنون" من مؤلفات الشيخ علي دده البسنوي قال: "تمكين المقام في المسجد الحرام" للشيخ علي دده بن الحاج مصطفى البسنوي، وهي رسالة ألَّفها لمَّا صار مأموراً لتجديد المقام الإبراهيمي من قِبل السلطان مراد خان سنة ١٠٠١هــ، إحدى وألف. ورتَّبه على أربعة أركان وخاتمة. الأول: فــي

([1]) هدية العارفين ٤٠١/١

([2]) هدية العارفين ٤٠١/١

سبب نزول الآيات فيه. والثاني: فيما ورد في فضل الصلاة فيه. الثالث: فيما ورد في أسرار المقام. الرابع: في أوائل المقامات. الخاتمة: فيما قيل في مدحه([٣]).

النُسخة المعتمدة في التحقيق

اعتمدتُ في تحقيقي للنَّصِّ على نسخة المؤلِّف التي كتبها بخطِّه سنة ١٠٠٢هـ بعد عودته من مكَّة وانتهائه من ترميم مقام إبراهيم عليه أفضل الصلاة والسَّلام. وعنونها على الغلاف بـ "رسالة مَقَاميَّة مكيَّة في فضل المقام والبيت الحرام" تأليف علي دده بخطِّه رحمه الله تعالى، ثم الصفحة الثانية من الغُلاف عنوان "تأليف علي دده البسنوي رحمه الله".

أمَّا العنوان الموثَّق في كُتب الفهارس فهو العنوان الذي أثبتناه على النَّص (تمكين المقام في المسجد الحرام). ومن تحت العنوان الموثَّق وضعتُ العنوان المكتوب على غلاف النُسخة.

ونُسخة المؤلِّف إذا وُجدت فلا تحتاج إلى نُسخ أخرى لتقويم النَّص، ما دامت بحالة جيِّدة وواضحة الخطِّ، ولم تُصَبْ بما يصيب الكُتب من أمراض، ولأنَّ النُسخ الأخرى نَقلت منها، فبالطبيعي تزيد فيها الأخطاء والسَّقط وانتقال النظر والتحريف والتصحيف وغير ذلك.

مكان وجود النُسخة

النسخة موجود بمكتبة (أحمد عارف حكمت) بالمدينة المنوَّرة، وهي من أوقافه رحمه الله، أوقفها -كما يُشير ختِم الوقفيَّة على النُسخة - سنة ١٢٦٦هـ، وهي مصنَّفة في المكتبة من كُتب التواريخ رقم (٣٤٥).

وصف النُسخة

اعتمدنا في تحقيقنا للنَّص - كما سبق ذكره - على نسخة المؤلِّف، كتبها بخطه ودوَّن ذلك على غلافها كعادة العُلماء. وهي نسخة مكتوبة بالخطِّ الفارسي

([٣]) كشف الظنون ١/٤٨٣ ، هداية العارفين ١/٤٠١

الجميل[٤] بها نظام (التعقيبة). مزخرفة الأوَّل، ومدوَّنٌ عليها عُنوان "رسالة مقامية مكيَّة في فضل المقام والبيت الحرام" تأليف علي دده البسنوي. وهى عبارة عن (٤٧) لوحة من القِطع المتوسِّط. ووصفها كالآتي:-

(١) العنوان على الغلاف:- رسالة مقاميَّة مكيَّة في فضل المقام والبيت الحرام.

(٢) العنوان الموثَّق:- تمكين المقام في المسجد الحرام.

(٣) المؤلف على الكتاب:- علي دده البسنوي.

(٤) المؤلف موثَّقاً :- علي دده البسنوي.

(٥) أوَّل المخطوط: الحمد لله الحكيم العلاَّم، الذي أقام حضرة المقام قُبالة قبلة الأنام، متوجهاً جناب البيت الحرام، وأمر باتخاذه مُصلًّى للطائفين إلى يوم القيام، فصيَّره آية بيِّنة على ممر الأعوام، وكان قبل ذلك كرسي آدم عليه السَّلام، أُلقى عند الكعبة عند هبوطه من دار السَّلام، فعلى عليه الخليل عند بناء البيت الحرام، فلان تحت قَدميّ إبراهيم عليه السَّلام..إلخ

(٦) آخر المخطوط: قد تمَّ الكتاب المقامي المكي بمشهد الشهير بمشهد زين العابدين في أوَّل شهر ربيع الأوَّل سنة اثنى وألف عند قدومي من سفر الحجِّ. وأنا الفقير تراب أقدام الفقراء وغبار نعال خيل مجاهدين علي دده البسنوي مولداً والخلوتي الملامي مشهداً كان الله له فيما يرضاه دنياه وأخراه آمين.

(٧) مسطرة المخطوط: ٢١ سطر.

(٨) نوع الخط: فارسي عادي (النستعليق).

(٩) عدد أوراقها: (٤٧) لوحة. (١٠) المقاس: ٩ × ٢٠ سم.

---

(٤) هو خطٌ جميل وهو ثلاثة أنواع: (١) الفارسي العادة المعروف عندنا.. وأول من وضع قواعده الأستاذ مير علي سلطان التبريزي المتوفى ٩١٩هـ. وما زال خطاطو الفرس والترك يدخلون على هذا الخط من التحسينات حتَّى أصبح في غاية الجمال والحسن. (٢) شكستة. وأول من وضع قواعده الأستاذ شفيع وهو خط صعب لم يعرفه العرب. (٣) شكستة آميز وهو ما كان خليطاً بين خط نستعليق (العادي) وبين خط شكستة وهو كالطلسم. إلا أنه أخف من الثاني. ولكن برع العرب والمسلمون فى النوع الأول ولهم به مخطوطات رائعة. دراسات فى علم الكتابة العربية ١٢١، ١٢٣.

جهود المحقق في الكتاب

(١) ضبط المتن.

(٢) توثيق النص وصحة نسبته إلى عُنوانه وإلى مُؤلِّفه.

(٣) تخريج آياته وأحاديثه.

(٤) ترجمة أعلامه (الغير مشهورة).

(٥) توضيح الغامض من الكلمات.

(٦) توثيق النُقُول الواردة في النَّص.

(٧) التعريف بأسماء الكتب الواردة فيه.

(٨) ترجمة المؤلِّف والتعريف بمصنفاته.

(٩) وصف النُسخة المعتمدة في التحقيق وصفاً علمياً مع الإشارة إلى وجـود الأصل ورقم حفظه.

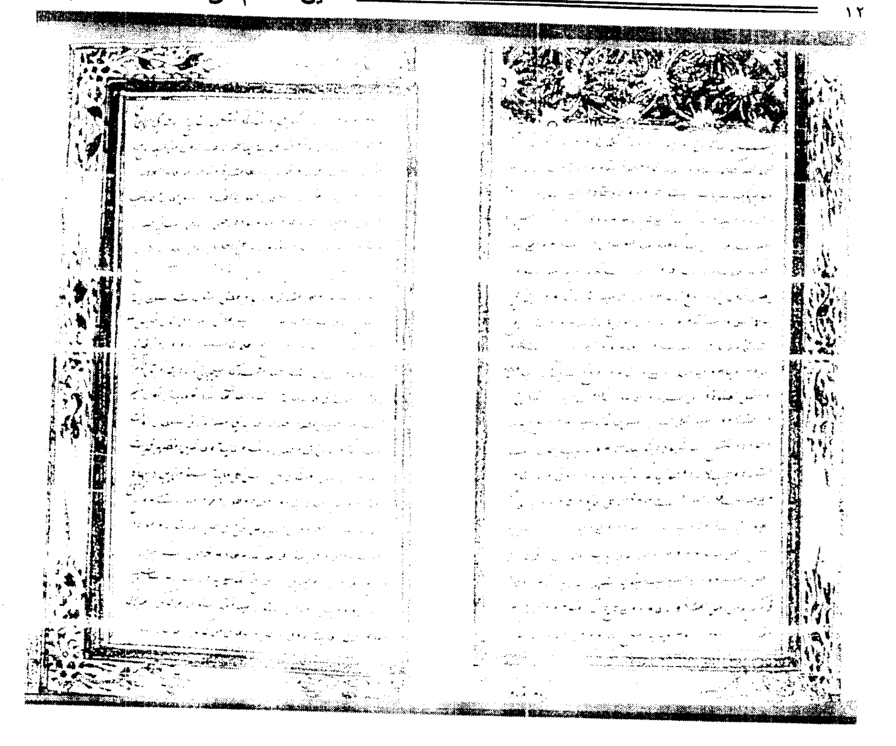
(١٠) وضع العناوين الجانبية بين علامتين هكذا { } وذلك لتنظيم النص وتنسيقه وتوضيحه.

(١١) وضع أرقام اللوحات داخل النَّص؛ وذلك لسهولة الرجوع إليه.

(١٢) وضع نماذج من النسخة المخطوطة فى النص للتوثيق والتأكيد.

نماذجٌ مختارةٌ من النَّص

عنوان النَّص(غلاف النص)



الورقة الأولى

الورقة الأخيرة

[١] بسم الله الرحمن الرحيم

عليه التُّكلان، ومنهُ التَّوفيق

الحمد لله الحكيم العلاَّم، الذي أقام حضرة المقام قُبالة قبلة الأنام، متوجهاً جناب البيت الحرام، وأمر باتخاذه مُصلًّى للطائفين إلى يوم القيام، فصيَّره آية بيِّنة على ممر الأعوام، وكان قبل ذلك كرسى آدم عليه السَّلام، أُلقى عند الكعبة عند هبوطه من دار السَّلام، فعلى عليه الخليل عند بناء البيت الحرام، فلان تحت قَدميّ إبراهيم عليه السَّلام، يطول تحتهما إلى أن بلغ الإتمام، فارتسم عليه أثرُ الأقدام، حين سمى به نحو السماء واستقام، عند الأمر لدعوة الحجِّ بالإعلام، فلبَّت الأرواح شرقاً وغرباً في الأصلاب والأرحام، مِن كل مَن يَحُجُ البيتَ المحرَّم إلى يوم القيام، فياحبَّذا المُصلَّى والمقام؛ أودع الله فيه الآي العِظَام. وأفضل الصلاة وأكمل السَّلام على صاحب المقام المحموديَّة الافتتاح والاختتام، سيِّد الكُلِّ، صدر الرُسُلِ، خاتم الأنبياء الكِرام، طلع بدره وجوده وانشرح صدر شهوده في البلد الحرام، لا طيب يعدل تُرب مشهده، وطيب مولده، فطوبى ثمَّ طوبى لذي الانتشاق والالتثام، وعلى صاحب الغار صدر صَحب الأعلام، من كل إمام وهمام، وعلى الفاروق الغَيور مُحدَّث الأمة سيفِ الانتقام، وعلى ذي النورين الشهيد سراج أهل السلام، وعلى الوصي الولي باب العلم الأحمدى، قرَّة عين الإسلام، وعلى سبطيه سيدي الشهداء، بدرَي التَّمام، وعلى كل قدمٍ كريم من أهل العترة والأعمام،

وعلى جميع آله العظام، وصحبه الكرام، عقد دُرر النظام، نجوم الهدى سرج الظلام، من اقتدى بهم اهتدى إلى يوم القيام.{أمّا بعد}:

أكملُ حمدٍ وأتمه لمّا انتهى التاريخ الأحمدي الإجماعي العمري الصحابي من هجرة حضرة المحمدية إلى آخر الألف الأوّل من البرج الميزاني العدلي القمري وآخر المائة العاشرة منه قد أمر إمام العصر الألفي المرادي العثماني سلطان صدر الألف ورأس المائة صاحب القرانين العظيمين الذي جدد الله بوجوده الجلي السَّني السُّنى صدر المائة والألف، أن يجدد المقام الإبراهيمي الخليلي المكي بعد أن كان جدَّده الجدُّ الجلي السُّليماني في أوّل خلافته، فأيده الله تعالى بأنواع الفتوحات براً وبحراً وشرقاً وغرباً، فبعض الفتوحات السلطانية من نتائج خدمات الحُرميَّة كما أشار إليه بعض العارفين؛ لأنَّ خليل الله إبراهيم عليه السَّلام أوّل من رفع العَلم في سبيل الله، وأوّل من قاتل بالسيف، وأوّل من رتَّب الجند وخمَّسه، كما سيجيء ذكره في أوائل الإبراهيمية الاختصاصية في آخر الرسالة إن شاء الله تعالى.

{ بشارة مكيَّة }

يقول الفقير تُراب نعال خيل حضرة الخلافة: قد بدى سر الوفاق لسلطان الوقت، غوث الملة والدين، مجدِّد صدر الألف والمائة وخاتمها، مُظهر الحديث الأحمديَّة: " **إن الله يبعث على كل رأس مائة سنة من يجدد لهذه الأمة دينها**" فبدى في دور عصره وطور دهره سرُّ الاختتام والافتتاح، وهو اختصاص عظيم، وقران جسيم لمن نحن في ظل معدلته، ألا وهو الإمام الغوث المعظَّم والخليفة المجاهد المُكرَّم خادم الحرمين الشريفين، وفاتح العراقين العظيمين الذي فتح الله علي يده الأبواب. الشهير بـ "دمور قيو"، و"جبل الفتح" من استولى عليه فقد استولى على ممالك العراقين، فقلع بهمَّته العالية عروق الرفض والنفاق من ممالك العراق فاستأصلها [٢] استئصالاً إلى أن جمع الله له بفيض فضله، ونصره بين عراقي العرب والعجم بالتَّمام والكمال، فهو أوّل من سُمِّيَ بـ "خاقان الخواقين"

بين أجداده المجاهدين، رضوان الله عليهم أجمعين. اصطفاه الله لذلك؛ إذ هو جدير بذلك، وكفاه ذلك بين الملوك فخرا، جزاه الله في الدارين خيرا.

{إشارة مكيَّة}

الحمد لله الفيَّاض الفتَّاح على كمال الوفاق لسلطان الوقت، إمام صدر الألف، ورأس المائة مع سيدنا أمير المؤمنين عمر الفاروق رضى الله عنه. حيث عمَّر المقام الشَّريف، في خلافته على رأس الألف الأوَّل حين نقضه السيل واحتمله من محله الشريف، فوصل الخبر إلى الفاروق الأغير، والكبريت الأحمر رضى الله عنه، فجاءه من المدينة المنورة مُسرعاً، فعمَّر المقام بنفسه، ووضعه في محله المعهود اليوم، في المكان الذي وضعه فيه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فاقتدى له بعض الملوك في ذلك، فوسَّع الله عليه بعد ذلك بأنواع الفتوحات شرقاً وغرباً، ولذلك نقل في بعض التواريخ المكيَّة عن بعض الفضلاء أنَّ كل سلطان وملك خدم الحرم الشريف والمقام المنيف، أيده الله في عصره بالفتوحات الجليَّة؛ لأنَّ المقام كان كرسي خليفة الله آدم عليه السلام، ألقى من السماء حين هبوطه فوجده عند البيت المُحرَّم عند وجدانه، ولا شكَّ أنَّ الخدمة الشريفة المكيَّة توجب الكرامات والفتوحات للملوك، ولذلك كان بعض الخلفاء الأجلَّة من العباسيَّة وغيرها يتسارعون بأنفسهم إلى خدمة الحرم الشريف، كالمنصور العباسي، والرشيد، والمهدى، والملك الأشرف، ومحمد بن قلاوون وغيرهم رحمة الله عليهم أجمعين.

فاستخرت الله تعالى أن أجمع رسالة مقاميَّة مكيَّة في فضل المقام والبيت الحرام؛ شكراً لله بحصول المرام، بأنَّ الله تعالى أنعم وأحسن على أفقر الورى وأحقر عبيده حيث أقامه في تعمير المقام وتجديده على يده، كان الله له فيما يرضاه.

فرتَّبتُ رسالة المقام على سبعة مشاهد وخاتمة؛ عدد الطواف بالبيت، وعدد السعي بين الصفا والمروة؛ لأنَّ السبع أسُّ الأعداد ومجمعها ومحتداها.

[١] { المشهد الأوَّل }

في سبب نزول الآية الكريمة في حضرة المقام وفضله

[٢] { المشهد الثانى }

في قيام الخليل عليه السَّلام على المقام بعد بناء البيت الحرام
ودعوته إلى الحج كافة الأنام، من كان ومن يكون
إلى يوم القيام

[٣] { المشهد الثالث }

أين كان أصل المقام وموضعه قبل الإسلام وبعده

[٤] { المشهد الرابع }

في سبب تحول المقام وانتقاله إلى محلِّه الموجود
الآن سنة إحدى وألف

[٥] { المشهد الخامس }

في أسرار المقام والآيات فيه عند العارفين
من أهل الله

[٦] { المشهد السادس }

في أوائل المكيَّة من المشاعر والمواقيت والمناسك والمقامات

[٧] { انمشهد السابع }

في أوائل الإبراهيمية الاختصاصية من
الخصائل والخصائص

{الخاتمة}

{أما الخاتمة فهي مرتَّبة على أربعة مقاصد، وعدد أركان البيت
وعدد أركان العالم، والله الموفق الفيَّاض}

[١] { المقصد الأوّل }

في رسم بناء المقام الذي تحت، [و]القبَّة الشريفة [التي]فوقه

[٢] { المقصد الثاني }

في رسم بناء المصلَّى خلف المقام، وهو اليوم مقام إمام الشافعية
يُصلَّى فيه الفرائض مع الجماعة، ويُصلَّى فيه صلاة الطواف

[٣] { المقصد الثالث }

في ذرع المقام طولاً وعرضاً في الموضع الأوّل العمري

[٤]{ المقصد الرابع }

في حُجّة بناء المقام الذي هو عليه اليوم من العهد العمري، قد أمر بتجديده غـوث الملة والدين، سلطان صدر المائة والألف [٣] ظل الله في العالم، خـادم الحـرمين الشريفين، فاتح العراقين العظيمين، مراد خان بن سليم خان بن سليمان خان، أعزَّ الله أنصار دولته، ونشر أحكام معدلته، وأيَّد جنوده بفيض فضله وعونه ونصـره، اللهم انصره باسمك الأعظم، وأسمائك الحسنى، ووجهك الكريم، وسلطانك القـديم، بحرمة الحبيب والخليل، اللهُمَّا آمين، اللهم آمين.

[١] { المشهد الأوَّل }

في حضرة سبب نزول الآية الكريمة في حضرة المقام واتخاذه مُصلى

أخرج الإمامُ العلاَّمة والجهبذ المتقن الفهَّامة خاتم المجتهـدين، الحـافظ المُحدِّث الأستاذ عبد الرحمن جلال الدين السيوطي تغمَّده الله برحمته ونفعنا بعلومه، في تفسير "الدُّر المنثور"(٥) عن ابن عمر رضى الله عنهما أنَّ عمر قال: "يا رسول الله، لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى. فنزلت:**﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْـرَاهِيمَ مُصَـلًّى﴾**(٦)"(٧)

وأخرج أيضاً عن مجاهد قال: "قد كان عمر يرى الـرأي فينـزل بـه القرآن"(٨).

---

(٥) **كشف الظنون ١/٧٣٣**

(٦) **البقرة آية (١٢٥).**

(٧) **الدُّر المنثور ١/٢٩٠**

(٨) **الدُّر المنثور ١/٢٩٠**

وأخرج أيضاً عن جابر قال: "وقف رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يوم فتح مكَّة عند مقام إبراهيم، قال له عمر رضي الله عنه: هذا مقام إبراهيم الذي قال الله فيه: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، قال: نعم[٩].

وأخرج السيوطي في تاريخ الخلفاء في ترجمة فضائل العمريَّة الفاروقيَّة عن الأئمة الثقاة من موافقات عمر ربِّه في إحدى وعشرين موضعاً، منها اتخاذ المقام مُصلًّى[١٠].

وأخرج ابن حجر المكي في كتاب "الصواعق المحرقة عن الزندقة"[١١] أنَّ موافقات عمر رضي الله عنه سبعة عشر موضعاً، منها المقام[١٢].

وذكر موافقته أيضاً للتوراة أنَّ كعب الأحبار[١٣] قال بحضرته: "ويلٌ لملك الأرض من ملك السماء. فقال عمر رضي الله عنه: إلا من حاسب نفسه. فقال كعب الأحبار: والذي نفسي بيده إنها في التوراة هكذا؛ فخرَّ عمر ساجداً".

[٢] { المشهد الثاني }

في قيام إبراهيم عليه السَّلام على المقام بعد بناء البيت الحرام

ودعوته إلى الحج كافة الأنام، من كان ومن يكون إلى يوم القيام وفي أثر قدميه.

فيه أخرج الإمام الأزرقي قُدوة المؤرخين في "تاريخ مكة"[١٤] عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ [١٥] قال: أثر قدميه في المقام عند قيامه

---

[٩] الدُّر المنثور ٢٩٠/١

[١٠] تاريخ الخلفاء ١١٠/١

[١١] الصواعق المحرقة على أهل الرفض والزندقة: للشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمي مفتي الحجاز المتوفى سنة ٩٧٣هـ. كشف الظنون ١٠٨٣/٢

[١٢] الصواعق المحرقة ٢٨٧/١

[١٣] هو كعب بن مَاتع بن ذي هجن، الحِمْيَرِيّ، أبو إسحاق، المعروف بكعب الأحبار، ويقال له أيضاً "كعب الحَبْر". تابعي، كان في الجاهلية من كبار علماء اليهود في اليمن، أدرك زمن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم رجلاً، وأسلم في زمن أبي بكر الصديق أو عمر بن الخطاب، وقَدِم المدينة في دولة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخذ عنه الصحابةُ وغيرهم كثيراً من أخبار الأمم الغابرة. سير النبلاء ٣/ ٤٨٩: ٤٩٠ تهذيب التهذيب ٨ / ٤٣٨ أسد الغابة ٤ / ٤٨٧

عليه حين أُمِرَ بالإعلام إلى الحج بعد بناء البيت الحرام، فنادى وقال: "يا أيها النَّاس أجيبوا ربَّكم" فقالوا:"لبيك اللهم لبيك" فمن حج إلى اليوم فهو ممن استجاب لإبراهيم عليه السلام، فحجَّ على قدر التلبية.

وأخرج السيوطي في تفسيره عن عبد الله بن سلام أنه سُئل عن الأثر الذي في المقام فقال: "كانت الحجارة على ما هي عليه اليوم حين خرج المقام من الجنة، وكان قبل ذلك ياقوتة تضيء مثل "المهاة"([١٦]) إلاَّ أنَّ الله سبحانه أراد أن يجعل المقام آية من آياته، فلمَّا أُمِر إبراهيم عليه السَّلام أن يؤذِّن في النَّاس بالحجِّ على المقام فارتفع حتى صار أطول الجبال، فأشرف على ما تحته فقال: "يا أيها النَّاس أجيبوا ربَّكم" فأجابه الناس. فقالوا: "لبيك اللهم" فكان أثر قدميه فيه بعد ذلك"([١٧]).

وأمَّا ما ذُكر في بعض التواريخ أنه قُرِّب إليه المقام حين جاء زائراً ابنه إسماعيل مع أمه هاجر، وكان قد حلف لسارة أن لا ينزل عندهم فقرب إليه المقام فقام عليه فارتسم عليه قدمه.

أقول: يمكن أن يجاب عن ذلك بتعدد القيام على القيام، وللارتسام عليه مرة عند مجيئه زائراً، ومرة عند دعوته. لأنه كان قبل ذلك كرسي آدم عليه السلام.

([١٤]) هو محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عُقبة بن الأزرق، أبو الوليد، الأزرقي. مؤرخ، من أهل مكة، يماني الأصل، يعد من أوائل الذين اهتموا بجمع الروايات التي تهتم بتاريخ مكَّة المكرمة، وكان جده أحمد ابن الأزرق هو أوَّل من جمع الروايات الخاصة بتاريخ مكة. ولد الأزرقي بمكَّة المكرمة في القرن الثاني للهجرة، ولم يُعْرف بالضبط تاريخ ولادته، ولا أشار إليه أحد من المؤرخين المتقدمين فقد أهمل المتقدمون ترجمته، وإنما وصلتنا نُتَف من ترجمته عن المتأخرين، فلم يصلنا عنه إلا طرف يسير. وقد توفي نحو سنة ٢٦٠هـ، وخلَّف كتاب: "أخبار مكَّة وما جاء فيها من الآثار". الأعلام ٦/ ٢٢٢.

([١٥]) آل عمران من الآية (٩٧)

([١٦]) خرزة بيضاء.

([١٧]) الدُّر المنثور ٢٩٢/١

وأما ما ذكر في رواية ابن عباس رضى الله عنهما [٤] حين أمر الله تعالى ببناء البيت المحرَّم ورفع قواعده كان يحمل له إسماعيل الحجارة على رقبته وهو يبنى، فلمَّا ارتفع البنيان وحفَّ على تناوله قرَّب إسماعيل له هذا الحجر المكرَّم، فكان يقوم عليه ويبنى ويحوله في نواحي البيت حتى انتهى إلى وجه البيت، فكان الحجر يرتفع بارتفاع البنيان.

قال ابن عباس: "فذلك مقام إبراهيم وقيامه عليه"، وقد ذكر الأزرقي في تاريخه المعول عليه عند العلماء: "وأنَّه لا شكَّ عند أهل العلم أنَّ الخليل عليه السَّلام قام على المقام بعد إتمام البناء، ورفع قواعده ودعى النَّاس إلى الحج عليه، فعلى على الجبال كلها تحته، وذكر أيضاً أنه لمَّا تمَّ البيت جاءه جبريل عليه السَّلام فأراه المناسك ومواقيت الحرم، فصعد عند ذلك على المقام فطال تحته ولان حتى صار أطول الجبال، فشاهد المواقيت والمناسك كلها".

أقول: "ولا شك عند المحققين من الفضلاء أنَّ المقام جوهر مُكرَّم من يواقيت الجنان، [و]أنه قابل للتحول والانفعال والتأثر والتأثير، فذلك [لـ]كونه آية من آيات الله؛ حيث كان قبل ذلك كرسي آدم عليه السلام، ألقى من السماء، من الجنة تشريفاً له وتسليةً منه سبحانه، فكان يضيء كالنجم النَّيِّر، ثمَّ ظفر به إسماعيل عند تناوله الأحجار لأبيه، فكان يطول ويلين للخليل عند البناء تشريفاً له، وآية منه سبحانه، ثمَّ ظفرت به امرأة إسماعيل حين جاء إبراهيم للزيارة فنزل عليه تشريفاً للمقام بقدومه على قدمه عليه صلةً وتسليةً له بفراقه عنه، فبذلك تجتمع الأخبار توفيقاً وتطبيقاً بينها، والله الموفق الفيَّاض".

وأخرج السيوطي عن ابن عباس رضى الله عنه قال: "كان المقام في أصل الكعبة، فقام عليه إبراهيم عليه السَّلام فتفرجت الجبال عند ذلك إلى ما بينه وبين عرفات فأُرى مناسكه حتى انتهى إلى غاية المواقيت والمشاعر، فقيل له: عرفت؟ فقال: نعم؛ فسُمِّيَت عرفات"(١٨).

(١٨) الدُّر المنثور ١/٣٣١

وذهب أهل التحقيق من المحدِّثين بتعدد مشاهد المقام: تارة صار المقام مشهد الدعوة الإبراهيمية المكيَّة، وطوراً كان مرقاته ومنظره عند إطْلاعِه على المناسك، وكان كرسيه ومنزله عند زيارته إسماعيل عليه السلام.

وقيل في مدح المقام ووصفه:

يا حبَّذا من مقام	**لإبراهيم عليه السلام**
يا حبَّذا من مشهد	**فيه آيات عِظام**
ذاك مقام مصلى	**ومأمنٌ للأنام**
طُوبى لهم من حجر	**لان تحت الأقدام**
كان كُرسي أبينا	**سار من دار السلام**
على عليه الخليل	**عند أمرٍ بالإعلام**
سَمى به نحو السماء	**داعٍ لبيت الحرام**
كُل داعٍ ومُلبٍ	**حَاجٌ إلى يوم القيام**
يا آيةً بينةً	**استمرت بالدَّوام**

{ خاتمة المشهد }

في فضل المقام مما ورد في الأحاديث النبوية والأخبار القدسيَّة .

أخرج الأزرقي في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم: "**ليس في الأرض من الجنة إلا الركن الأسود والمقام؛ فإنهما جوهرتان من جَوهَر الجنة، ولولا مسُّهما من أهل الشرك ما مسَّهما ذو عاهة إلا شفاه الله تعالى**"([19]).

وأخرج السيوطي في "الدُّر المنثور" عن مجاهد، قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم: "**يأتي الحجر والمقام يوم القيامة كل واحد منهما مثل أُحُد، لهما عينان وشفتان يناديان [٥] بأعلى صوتهما يشهدان لمن وافاهما**"([20])

([19]) الدُّر المنثور ١ / ٣٢٤

([20]) الدُّر المنثور ١ / ٢٩١

وأخرج أيضاً عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: "أنــزل الله الــركن والمقام مع آدم عليه السَّلام ليلة نزل من الجنة بين الركن والمقام، فلمَّا أصبح رأى الركن والمقام فعرفهما وضمَّهما وآنس بهما"(٢١)

{ نُكتة عرفانيَّة }

قيلَ في سرِّ نزولهمُا مع خليفة الله آدم عليه الســلام: أنَّ المقــام كــان كرسيه في الجنة، والركن كان خزانة عهود ذريَّاته حين أخرجــت مــن ظهــره، فخوطبوا بقوله تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾، فقالوا: ﴿بَلَى﴾ فأخذت المواثيق فألقمها الحقُ تعالى الحجرَ المكرَّمَ، فلهذا السبب الأقدمي الأوليُّ اختارهما الحــق تعــالى بــين اليواقيت الجنانيَّة وجواهرها تكرمةً لخليفته الأوَّل. فعلَّم الأسماء الحسنى، وحامــل الأمانة الكبرى، اصطفاه الله لذلك، وهو الوليُّ الفيَّاض.

وأخرج السيوطي في "الدُّر المنثور" عن الزهري أنه قال: وجدوا فــي المقام ثلاثة صفوحٍ، في كل صفحة منها كتاب. في الأوَّل مكتوب: "**أنا الله ذو بكَّة، وضعتها يوم وضعت الشمس والقمر، وحففتها بسبعة أمــلاك حنفــاء، وباركــت لأهلها في اللحم واللبن.**

وفي الصَّفح الثاني: "**أنا الله ذو بكة، خلقتُ الرحم وشققت لها اسماً من اسمي، من وصلها واصلته، ومن قطعها قطعته**".

وفي الثَّالث: "**أنا الله ذو بكة، خلقت الخير والشر فطوبى لمــن كــان الخير على يديه**"(٢٢)

قال بعض المفسرين: فمن جملة الآيات المكيَّة توكيل الملائكة الكــرام لخدمة البلد الحرام بإمداد سكانه بالمعايش والأرزاق، وهو مشهود لأولى البصــيرة والألباب.

---

(٢١) الدُّر المنثور ٣٢٥/١

(٢٢) الدُّر المنثور ٢٦٧/٢

وأخرج السيوطي في تفسير قوله تعالى: ﴿ فيهِ آيَاتٌ بَيِّنَـاتٌ ﴾، فمنها الكعبة والصفا والمروة، ومنى، ومزدلفة، وعرفة، وأثر القدم الإبراهيمي في المقام.([٢٣])

وأخرج أيضاً عن ابن الزبير وحكاه الأزرقي في تاريخه: "أنَّه رأى قوماً يمسحون المقام فقال:لم تؤمروا بهذا، وإنما أمرتم بالصلاة عنده. فما زالت هذه كافةٌ تمسحه حتى اخْلَوْلَقَ وانماح"([٢٤]).

وقال الأزرقي: ولقد ذكر لنا بعض من رأى أثره وأصابعه على المقام. وذُكر عن بعض الصحابة قال: "رأيته في عهد عبد المطلب، كأنه خرزة بيضاء"([٢٥]).

{ حكاية لطيفة }

ذكرها الأزرقي في تاريخه قال: "لمَّا حجَّ المهدي سنة ستين ومائة فنزل بداره بمكَّة فجاء بعض الحجبة من أهل بنى الشيبة حاملاً بالمقام، فوضعه بين يدي الخليفة وقال: إنَّ معي شيئاً لم يدخل به أحد على ملك وسلطان، وهو يسُرُّ أمير المؤمنين. فكشف عن المقام فسُرَّ الخليفة بذلك، وفرح وتمسح به وتبرَّك وسكب فيه الماء من زمزم وشربه هو وأهله وخاصته فأجاز الحاجب بالجوائز الجليَّة، فلا زال الخواص من الحجاج يشربون ماء زمزم من أثر قدميه على المقام ويحملونه، وأنا الفقير فتحتُه عند تعميري حضرة المقام، وشربتُ منه [ماء] زمزم استشفاء وتبرُّكاً، والشرب من المقام شرف على شرف، ونور على نور، وهو الولي الفيَّاض.

([٢٣]) الدُّر المنثور ٢/٢٧٠

([٢٤]) الدُّر المنثور ١/٢٩٢

([٢٥]) الدُّر المنثور ١/٢٩٢

[٣]{ المشهد الثالث }

في بيان أصل المقام، أين كان موضعه قبل الإسلام وبعده وفيمن اتخذه قبلةً من الأنبياء الكرام

أخرج السيوطي في "الدُّر المنثور" عن ابن عمر رضى الله عنهما. قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم: **"الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة، طمس الله نورهما، ولولا ذلك لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب"**.([٢٦])

وأخرج أيضاً في تفسيره عن عائشة رضى الله عنها قالت: "ألقيَ المقام من السماء، وجده آدم عليه السَّلام حين نزل، فضمه إلى صدره [٦]واستأنس له"([٢٧])

وذكر الفاضل صاحب "تاريخ الخميس" في كتابه: "أنَّ المقام كان كرسي أبينا آدم عليه السَّلام في الجنة، نزل بكرسيه إلى دار خلافته".

وأخرج السيوطي في تفسيره "الدُّر المنثور" أنه صلَّى الله عليه وسلَّم لمَّا فتح مكَّة طلب المفتاح من بني شيبة، ففتح البيت ودخل، ومحى التمثال والصور في داخل الكعبة في الجاهلية، ثمَّ كان ملاصقاً بالبيت المحرَّم حتى نزلت الآية الكريمة لاتخاذه مصلَّى موافقاً لرأى عمر رضى الله عنه، ثمَّ حمله السيل في خلافته فوضعه أمير المؤمنين بنفسه إلى محله كما سبق.

وذكر الإمام الدميري في كتاب "حياة الحيوان" عن بعض الثقاة: "أوَّل من وضع مقام إبراهيم عليه السَّلام بعد الطوفان إلياس بن مضر، ولم يزل العرب يعظمه، وكان يسمع تلبية النبي صلَّى الله عليه وسلَّم من صلبه، وهو من مؤمني أهل الفترة كما ورد في الحديث".

وقيل: كان المقام بعد الطوفان برهةً داخل البيت داخل البيت فأخرجه إلياس بن مضر، ثمَّ جعله أهل الجاهلية فأخرجه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم كما مرَّ ذكره.

([٢٦]) الدُّر المنثور ١/٣٢٥

([٢٧]) الدُّر المنثور ١/٣١٣

{ مطلب شريف }

فيمن اتخذ المقام قبلة من الأنبياء عليهم السَّلام

أخرج الإمام الأزرقى في "تاريخ مكة" عن أبى سعيد الخدري رضى الله عنه قال: سألت عبد الله بن سلام عن الأثر الذي في المقام فقال: كانت الحجارة على ما هي عليه اليوم، فأراد الله أن يجعل المقام آية من آياته، فلمَّا أمر إبراهيم عليه السَّلام أن يؤذن في النَّاس بالحج قام على المقام فارتفع حتى صار أطول الجبال وأشرف على ما تحته فقال: "يا أيها النَّاس أجيبوا ربكم"، فأجابه النَّاس فقالوا: "لبيك اللهم لبيك" فكان أثر قدمه فيه لما أراد الله سبحانه، فلمَّا فرغ من الدعوة على المقام وضعه قبلة، فكان يصلِّى إليه مُستقبِل الباب، فكان قبلته إلى ما شاء الله، ثمَّ كان إسماعيل بعد يصلِّى إليه إلى باب الكعبة، ثمَّ كان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فأمر أن يصلِّى إلى بيت المقدس فصلَّى عليه قبل أن يهاجر، وبعد ما هاجر.

ثمَّ أحبَّ الله أن يصرفه إلى قبلته التي رضى لنفسه ولأنبيائه فصلَّى إلى جانب الميزاب وهو بالمدينة، ثمَّ قدم مكَّة فكان يصلِّى إلى المقام ما كان بمكة.

أخرج السيوطي في الدُّر المنثور في تفسير قوله تعالى:﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾ ([٢٨]).

عن بُريده رضى الله عنه عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: "**لمَّا أهبط الله آدم إلى الأرض طاف بالبيت أسبوعاً، وصلَّى حذاء المقام ركعتين، ثمَّ قال: اللهم أنت تعلم سريرتي وعلانيتى، فاقبل معذرتى، وتعلم حاجتي فأعطيني سؤلى، وتعلم ما عندي فاغفر لي ذنوبي، أسألك إيماناً يباشر قلبى، ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لن يصيبني إلاَّ ما كتبت لي، ورضني بقضائك، فأوحى الله إليه أنك دعوتني بدعاءٍ فاستجبتُ لك فيه، ولن يدعوني به أحد من ذريتك إلاَّ استجبتُ له**

([٢٨]) البقرة من الآية (٣٧)

وغفرت له، وفرجت همَّه وغمَّه، واتَّجرتْ له من وراء كل تاجر، وأتتــه الــدنيا راغمة وإن كان لا يريدها"(٢٩).

[٤] { المشهد الرابع }

في سبب تحول المقام وانتقاله إلى محله الموجود الآن

وهو سنة إحدى وألف

أخرج السيوطي في الدُّر المنثور عن مجاهد قال: "كان المقام عند البيت ملاصقاً به، فقال أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه لو نجبته من البيت يا رســول الله ليصلِّي إليه النَّاس ففعل ذلك رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فأنزل الله تعــالى: **﴿واتَّخِذوا مِنْ مَقَامِ إبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾** .

وأخرج أيضاً عن أنس رضى الله عنه أنَّ عمر رضى الله عنه قال: "يا رسول الله، [٧] لو صلينا خلف المقام فنزلت الآية"، وقد كان يرى الرأي فينزل به القرآن كما مرَّ ذكره.

{ مطلب شريف ومقصد منيف في فضل الصلاة خلف المقام}

أخرج السيوطي عن أبى هريرة رضى الله عنه "أن رسول الله صــلَّى الله عليه وسلَّم لمَّا دخل مكَّة يوم الفتح طــاف بالبيــت، وصــلَّى ركعتــين خلــف المقام"(٣٠).

وأخرج أيضاً عن جابر رضى الله عنه قال رسول الله صلَّى الله عليــه وسلم: "من طاف بالبيت سبعاً وصلَّى خلف المقام ركعتين وشرب من ماء زمــزم غفر الله ذنوبه بالغة ما بلغت"(٣١).

وأخرج السيوطي أيضاً في تفسيره عن عمرو بن شــعيب رضــى الله عنه. قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم: "**إذا خرج المرء يريد الطــواف بالبيــت أقبل يخوض في الرحمة. فإذا دخله غمرته، ثمَّ لا يرفع قدماً ولا يضــع قــدماً إلاَّ كتب الله له بكل قدم خمسمائة حسنة، وحطَّ عنه خمسمائة ســيئة، ورفعــت لــه**

---

(٢٩) الدُّر المنثور ١/١٤٣

(٣٠) الدُّر المنثور ١/٢٩٤

(٣١) الدُّر المنثور ١/٢٩٣

خمسمائة درجة، فإذا فرغ من طوافه فأتى المقام فصلَّى ركعتين دُبر المقام خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، وكتب له أجر عشر رقاب من ولد إسماعيل، واستقبله ملك على الركن فقال له: استأنف العمل فيما بقى، فقد كفيت ما مضى، وشفع في سبعين من أهل بيته"([٣٢]).

وأخرج صاحب "شفاء الغرام"([٣٣]) عن داود بن عجلان قال: طُفْتُ مع أنس والحسن رضى الله عنهما في مطر، فلمَّا صلينا خلف المقام ركعتين أقبل علينا أنس بوجهه فقال لنا: استأنفوا العمل؛ فقد غفر لكم ما مضى، هكذا قال لنا رسول الله صلَّى الله عليه وسلم، وطفنا معه في مطر.

{ خاتمة المطلب }

في صلاة الملائكة والجن والطير خلف المقام

ورد في الخبر المشهور في "فضائل مكة": **"لا ينزل ملك على وجه الأرض إلاَّ وهو يطوف البيت ويصلَّى خلف المقام"**.

وأخرج الإمام في "الدُّر المنثور" عن وهب بن منبه: "ما بعث الله ملكاً قط ولا سحابة فيمر حيث بعث حتى يطوف بالبيت ثمَّ يمضى حيث أمر"([٣٤]).

وأخرج أيضاً عن وهب قال: قرأت كتاباً من كتب الأُوَلِ ذُكر فيه أمر الكعبة فوجد فيه أن ليس من ملك بعثه الله إلى الأرض إلا أمره الله بزيارة البيت الحرام فينقضُّ من عند العرش مُحرِماً مُلبِّياً حتى يستلم الحجر ثمَّ يطوف سبعاً بالبيت ويصلَّى في جوفه ركعتين ثمَّ يصعد السماء([٣٥]).

وفي الخبر: كل ملك ينزل على وجه الأرض يستأذن في الطواف، وأخرج الأزرقي في "تاريخ مكة" أنه دخل يوماً حيَّة من باب بنى شيبة، وهو باب

([٣٢]) الدُّر المنثور ٢٩٤/١

([٣٣]) شفاء الغرام تاريخ بلد الله الحرام لتقي الدين : محمد بن أحمد بن علي الحسني الفاسي المتوفى سنة ٨٣٢هـ. أوله: الحمد لله الذي جعل مكَّة المشرفة أعظم البلاد . . . إلخ. كشف الظنون ١٠٥١/٢

([٣٤]) الدُّر المنثور ٣١٢/١

([٣٥]) الدُّر المنثور ٣١٢/١

السلام، والناس ينظرون إليه، فطاف بالبيت سبعاً وصلَّى ركعتين وراء المقام، فقال له بعض الحاضرين: أيها المعتمر من الجنِّ، قد قضى الله نُسُكك، وإنَّ بأرضنا عبيداً وسفهاء، وإنما يُخشى عليك منهم، فكدم برأسه كدمة بطحاء فوضع ذَنَبه عليها فسمى في السماء حتى ما نراه في الهواء([٣٦]).

وأخرج السيوطي في تفسيره حكاية عن الأزرقي: أنه كانت امرأة مسلمة من الجن تسكن ذا طوى، وكان لها ابن، ولم يكن لها ولدٌ غيره. فقال يوماً لأمه: أحبُّ أن أطوف بالكعبة سبعاً نهاراً، فقالت له أمه: إني أخاف عليك من سفهاء قريش. فقال: أرجو السلامة منهم. فأذنت له، فولى في صورة جان، فمضى نحو الطواف فطاف بالبيت سبعاً، وصلَّى خلف المقام ركعتين، ثمَّ أقبل منقلباً فعرض له شاب من بني سهم فقتله، فثارت بمكَّة غبرة حتى لم تصبر منها الجبال، وتكون تلك الغبرة عند موت عظيم من الجن [٨] فأصبح من بني سهم على فرشهم موتى كثير من قتلى الجن، فنهضت بنو سهم برجالهم وعبيدهم الجبال والشعاب فما تركوا ما التقوا في ثلاثة أيَّام من أنواع الهوام والحشرات؛ لأنَّ الجنَّ تتجسَّد بصورها، فهتف هاتف بصوت جَهْوَرِيٍّ: "أصلحوا بيننا وبين بني سهم. أن لا يتعدى بعد ذلك بعضنا على بعض" فأصلحت قريش بين الجن وبني سهم، فسميت بنو سهم العياطلة قتلة الجن. فكان بعد ذلك متى يقع صرع الجن عند أحدهم صار يصيح في الوادي أو على الجبل عند شعب الجن بمكة: أين العهد الذي بيننا، وكان يفيق بعد ذلك المصروع منهم.

{ حكاية لطيفة }

حكاها الأزرقي في تاريخه عن بعض علماء مكَّة أنَّه شاهد طائراً وقع على منكب رجل في الطواف فطاف به ثلاثة أسابيع، في كل أسبوع يخرج من الطواف ويركع خلف المقام ثمَّ يعود الطواف وهو على منكبه، ثمَّ طار من قِبل نفسه حتَّى وقع على يمين المقام فقام عليه ساعة طويلة ثمَّ طار، فخرج صائحاً من المسجد من الباب نحو جبل المروة.

([٣٦]) الدُر المنثور ٢٤٩/١

وأخرج الأزرقي في تاريخه غبر ذلك من حكاية الطير والجنِّ، قـال الحسن البصرى في "رسالته": ما أعلم بلداً يصلَّى فيه حيث أمر الله نبيه صـلَّى الله عليه وسلَّم بمكَّة قال تعالى:﴿ **وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى**﴾ فقال: يُستجابُ الدُّعاء بين الركن والمقام، وعند المقام، وعند الملتزم، وتحت الميـزاب، وعنـد الـركن اليماني، وعلى الصفا والمروة، ونسأل الله أن يجيب دعوتنا بفيض فضله آمين اللهم آمين وهو القريب المجيد([٣٧]).

[٥] { المشهد الخامس }

في أسرار المقام الإبراهيمي وأسرار الآيات فيه عند أهل الله تعالى من المشايخ المحققين

وإشارات الأولياء الكرام به، كالشيخ الأكبر في "الفتوحات المكيَّـة"([٣٨]) وصاحب "عرائس القرآن"([٣٩]) في تأويلانه. والنجم الكُبـرى فـي تفسـير "عـين الحياة"([٤٠]) وغيرهم من العارفين.

{ مبشرة رحمانيَّة ولطيفة ربانيَّة }

ذكرها الشيخ الأكبر، والكبريت الأحمر في الفتح المكيِّ في "باب الحج منه" قال الشيخ أفاضنا الله من علومه ومدده: بينما أنا أكتب الكلام في اتخاذ مقـام إبراهيم مصلًّى إذ أخذتني سِنة فإذا قائل من الأرواح العلويَّة يهتف بي ويقول لـي عن الله تعالى: ادخل مقام إبراهيم وهو إنه كان أوَّاهاً حليماً، ثمَّ تلى:﴿ إِنَّ إِبْـرَاهِيمَ

([٣٧]) فضائل مكَّة ٢٥/١

([٣٨]) الفتوحات المكيَّة في معرفة أسرار المالكية والملكية مجلدان للشيخ محيى الدين محمد بن على المعروف بابن عربي الطائي المالكي المتوفى سنة ٦٣٨هـ. كشف الظنون ١٢٣٨/٢

([٣٩]) عرائس البيان في حقائق القرآن للشيخ أبي محمد روزبهان بن أبي نصر البقلي الشيرازي الصوفي المتوفى سنة ٦٠٦هـ وهو : تفسير على طريقة أهـل التصـوف. كشـف الظنـون ١١٣١/٢

([٤٠]) "عين الحياة" في التفسير لنجم الدين الرازي المتوفي في ربيع الأوَّل سـنة ٦١٨ ثمـان عشرة وستمائة، هو أحمد ابن عمر الخيوقى المعروف بالكبرى. كشف الظنون ١١٨١/٢

لحليمٌ أوّاهٌ﴾ فعلمتُ أنَّ الله لابد أن يعطيني من الاقتدار ما يكون معه الحلم إذ لا حلم إلاَّ مع القدرة، فعلمتُ أنَّ الله تعالى لابد [أن] يبتليني بكلام في عرضي من أشخاص فأعاملهم مع القدرة على أذاهم بالحلم عنهم، فإنَّه جاء حليم، فهو بنْيَةُ المبالغة: "فعيل" ثمَّ وصفه بالأواه وهو الذي يكثر التأوه لما يشاهده من جلال الله وكونه ما في قوته مما ينبغي أن يعامل به ذلك الجلال الإلهي من التعظيم. إذ لا طاقة في المُحْدَث فيما يُقَابَل به من جلال الله من التكبير والتعظيم، فهذا أيضاً مِنْ قَصْدِنَا مقام إبراهيم لنتخذه مصلَّى أي موضع لنيل هذه الصفة التي نفس إبراهيم وحاله ومقامه، فنرجو الله أن يكون لنا نصيب من الخلَّة كما حصل لنا من درجة الكمال والختام في الأمة الأحمدية بالبشرى في ذلك، فمن مقام إبراهيم عليه السَّلام أيضاً أنه كان أمَّة قانتاً لله حنيفاً، ولم يكن من المشركين مطلق الشرك المعفوِّ عنه والمذموم ومن مقام إبراهيم عليه السَّلام أنه أوتى الحجَّة على قومه بتوحيد الله، وأنَّه شاكر لأنعمه اجتباه فهو مجتبى، فمقامه الاجتباء، هداه إلى دعاه، ووفَّقه إلى صراط، وهو صراط الربِّ الذي [٩] ورد في قوله: **﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾** ومن مقام إبراهيم عليه السَّلام أيضاً أنَّه كان حنيفاً أي مائلاً من الله إلى الله، ومن نفسه إلى الله، ومن كل ما ينبغي أن يمال إليه عنه عن أمر الله مسلماً منقاداً إلى الله عند كل دعاء يدعوه إليه من غير توقُّف، والأمَّة تعلم الخير فنرجو بما نورده من هذا العلم للنَّاس أن يكون حظي من تعليم الخير.

ومن مقام إبراهيم عليه السَّلام الصَّلاح، وهو أشرف صفة ومقام يصل إليه العبد في الدَّارين، فإنها صفة امتن الله بها على من وصفه بها، وهى صفة يسأل في نيلها كل رسول ونبي، وعندنا من العلم ذوق عظيم، وهى صفة ملكية. قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم: **"إذا قال العبد في التشهد السَّلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أصابت [كل عبد صالح في السماء والأرض]"**([٤١]).

من مقام إبراهيم عليه السَّلام أن الله تعالى آتاه أجره في الدُّنيا وهو قول كل نبي: **﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾**، فكان أجره أن نجَّاه الله من النَّار حين وقوعه

([٤١]) السنن الكبرى (١١٥٨٤)

فيها، فكانت عليه برداً وسلاماً، فأرجو من الله أن يجعل كل مخالفة ومعصية صدرت منا يكون حكمها في حكم النَّار في إبراهيم حين رُمى فيها عنايةً من الله تعالى، لا عن عمل، وإنه في الآخرة لمن الصالحين له، أي لذلك الأجر ما نقصد كونه في الدنيا قد حصَّله فما يناله له في الآخرة شيء.

ومن مقام إبراهيم عليه السَّلام الوفاء، فإنَّه الذي وفَّى، فأرجو أن أكون من الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق، وعليه أدلُّ النَّاس أبدا، وأربِّي عليه أصحابي، وهو أن يعاهد أحد مع الله عهداً فينقضه بعد ما ربط عليه أصحابي عهده، لرخصة تظهر له يسقط عنه الإثمَّ بها، ومع هذا فيوفي بعهد الله ولا ينقضه تماماً للمقام الأعلى وكمالاً، فهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، أي موضع دعاء إذا صليتم فيه أن تدعوني بنيل هذه المقامات التي وصفنا بها إبراهيم عليه السلام، ونسأل الله من فيض فضله باسمه الأعلى الأعزِّ الأجل الأكرم أن يجعلنا في الداخلين الوارثين للمقامات الإبراهيمية بحرمة الحبيب والخليل، اللهما آمين اللهم آمين.

وقد ذكر الشيخ الفاضل والمرشد العارف الكامل في "تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن" وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ قال الأستاذ رحمه الله تعالى: مقام إبراهيم في الظاهر ما باشر الخليل بقدمه، وهو في الحقيقة ولسان الإشارة ما وافق الخليل بهممه من الوصول إلى المقامات العليَّة والمنازل الجليَّة من الرضا بقضاء الله والتسليم لأمر الله والانبساط مع الله واليقين لوحدانيَّة الله حين أُلقىَ في النار وقال: "علمه بحالي حسبي عن سؤالي" حين أراد جبريل عليه السَّلام أن ينجيه.

وأمَّا تسليمه ففي ذبح ولده وانبساطه قوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي﴾، ويقينه قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [٤٢] فمن وافق سرُّه أسرار هذه المقامات من الفتوَّة والمشاهدة والمكاشفة فقد أدَّى حقَّ

([٤٢]) الأنعام آية (٧٥)

مقام إبراهيم ووصل إلى زيارة كعبة القلب، ومقام الرُوح، وشاهد آيات الله وشعائره الحقيقية.

قيل: مقام إبراهيم هو الخلَّة، فمن شاهد فيه مقام الخلة لإبـراهيم فهـو شريف، ومن شاهد في المقام الحق فهو أشرف.

وقال الحكيم الترمذي: مقام إبراهيم هو بذل النفس والولد والمـال فـي رضاء خليله عليه السلام، فمن نظر إلى المقام ولم يتخلى مما تخلى منـه إبـراهيم عليه السَّلام من بذل النفس والولد والمال [١٠] فقد في الحقيقـة سـفرهُ وخسـرت رحلته.

وقال بعض العارفين: للخليل مقام المعرفة والتوحيد والفناء والبقـاء(٤٣) والسكر(٤٤) والصحو(٤٥) فمن ذاق طعم السُكر، وتمكن في الصحو، وفنـى عـن أوصاف نفسه، وبقى على أوصاف الحق يعنى متحققاً بأخلاق الله واقفاً بنعت الخلق من أوصاف العبوديَّة، وتنوَّر قلبه بأنوار المعرفة، وتلبَّس بلبـاس التوحيـد فطـار روحه في سماء القِدم، وطاش قلبه في جلال الأبديَّة، وسار سره في الملك الأعلى، وهام عقله في أودية العظمة والكبرياء، واطمأنت نفسه في أحكام الربوبيَّة بلا جزع وفزع، ملبياً بتلبية الهويَّة، مُحرماً بإحرام التجريد عن لباس التقييد، متوجِّهاً إلى مقام القلب فقد فاز برؤية مقام إبراهيم عليه السَّلام.

---

(٤٣) الفناء: بالفتح سقوط الأوصاف المذمومة، والبقاء وجود الأوصاف المحمـودة، والفنـاء يحصل بكثرة الرياضة، والثاني: عدم الإحساس بعالم الملك والملكوت وهـو بالاسـتغراق فـي عظمة الباري ومشاهدة الحق وإليه أشار المشايخ بقولهم الفقر يجلو الوجه في الدارين يعنـي الفناء في العالمين. التعريفات ٢١٧/١

(٤٤) عند أهل الحق السكر: هو غيبة بوارد قوي وهو يعطي الطرب والالتذاذ، وهو أقوى مـن الغيبة وأتم منها، والسكر من الخمر: عند أبي حنيفة: ألا يعلم الأرض من السماء، وعند أبـي يوسف ومحمد والشافعي هو أن يختلط كلامه، وعند بعضهم أن يختلط في مشيته تحرك. نفسه ١٥٩/١

(٤٥) الصحو: هو رجوع العارف إلى الإحساس بعد غيبته وزوال إحساسه. نفسه ١٧٣/١

وقال بعض العارفين: مقام إبراهيم هو المقام السلوكي الجاهي مشاهداً المقامات الإلْفيَّة كلها، والمنازل الكليَّة من منازل السالكين كالتوبة(٤٦) والإنابة(٤٧) والرِّضا(٤٨) والتَّسليم(٤٩) والمشاهدة(٥٠) والتجريد(٥١) والتوحيد(٥٢) والفناء في الله والبقاء بالله فمن وصل مقام السلوك فقد شاهد مقام الخليل وسره.

قال بعضهم: مقام الخليل مقام الدَّعوة والإرشاد؛ لأنَّه قام على المقام ودعى الأرواح إلى البيت العتيق، وأرشدها إلى المعالم والمشاعر والمناسك.

قال تعالى: **﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾** وقد ذكر الشيخ في "العرائس" من أسرار دخول المقام من كلمات المحققين عن جعفر الصَّادق في قوله تعالى: **﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾** أي من عرف الله بدخوله مقام السُّلوك لم يأنس بشيء سواه.

وقال النووي: "من دخل قلبه سلطان الاطلاع كان آمناً من هواجس نفسه ووسواس الشيطان".

قال الواسطي: "من دخل المقام على شرائط آداب الحقيقة صار آمناً من رعونات نفسه".

---

(٤٦) التوبة: الرجوع إلى الله بحل عقدة الإصرار عن القلب، ثمَّ القيام بكل حقوق الرب، والتوبة النصوح هي توثيق بالعزم على ألا يعود لمثله. نفسه ١/٩٥

(٤٧) الإنابة: إخراج القلب من ظلمات الشبهات، وقيل: الإنابة الرجوع من الكل إلى من له الكل وقيل: الإنابة الرجوع من الغفلة إلى الذكر، ومن الوحشة إلى الأنس. نفسه ١/٥٥

(٤٨) الرضا: سرور القلب بمُرِّ القضاء. نفسه ١/١٤٨

(٤٩) التسليم: هو الانقياد لأمر الله تعالى وترك الاعتراض فيما لا يلائم واستقبال القضاء بالرضا، وقيل: التسليم هو الثبوت عند نزول البلاء من تغير في الظاهر والباطن. نفسه ١/٨٠

(٥٠) المشاهدة: تطلق على رؤية الأشياء بدلائل التوحيد وتطلق بإزائه على رؤية الحق في الأشياء وذلك هو الوجه الذي له تعالى بحسب ظاهريته في كل شيء. نفسه ١/٢٧٤

(٥١) التجريد: إزاحة السوى والكون عن السر والقلب إذ لا حجاب سوى الصور الكونية والأغيار المنطبعة في ذات القلب. التعاريف ١/١٦٠

(٥٢) التوحيد: في اللغة الحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنه واحد، وفي اصطلاح أهل الحقيقة: تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام ويتخيل في الأوهام والأذهان، وهو ثلاثة أشياء. معرفة الله تعالى بالربوبية والإقرار بالوحدانية ونفي الأنداد عنه جملة. نفسه ١/٩٦

قال ابن عطاء: "من دخل المقام كان آمناً من عقابه، ولله في الدنيا ثواب وعقاب، فثوابه العافية، وعقابه البلاء. فالعافية أن يستولي عليك أمرك، والبلاء أن يكلك إلى نفسك".

وعن الصادق في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ﴾ من دخل الإيمان قلبه كان آمناً من الكفر.

وعن الواسطي: "من دخله على الصّفة التي دخله الأنبياء والأولياء والأصفياء صار آمناً من عذابه كما أمِنُوا".

قال الأستاذ قُدِّس سره: "جعلنا الإشارة من البيت والمقام إلى مقام القلب والروح، فمن دخل قلبه سلطان الحقيقة وروحه أسرار الشريعة آمن من نوازع البشريَّة وهواجس النفس".

وقيل: "لا يكون دخول البيت والمقام على الحقيقة إلاَّ بخروجك عنك، فإذا خرجت عنك أمنت عمَّا سِواه".

وقيل: "من دخل مقام الإنابة اعتصم بنور الكفاية، ومن دخل مقام الرضا فقد فاز من العناء، ومن دخل مقام الوفاء فقد ذاق طعم الصَّفاء، ومن دخل مقام الإنابة اعتصم بنور الكفاية، ومن دخل مقام الرِّضا والإخلاص آمن من رُعُونَات الرياء والشكوى، ومن دخل مقام التسليم مثل الخليل فقد خرج من تنازع النَّفس وتدبيرها وإرادتها، ولم يبق له اختيار، وسكن في اختيار الحق ومراده منه، وآمن من خوف فوت المراد؛ لأنَّ جميع الخوف من جهة فوت المراد، فإذا لم يبق له مراد زال الخوف بأسره منه، ولم يبق مساغٌ في وصفه ولا محالة أنَّ دخول البيت والمقام لا يكون مستحسناً إلا بتسليم الأمور إلى ربِّ البيت، فإن لم يكن بالتسليم موقوفاً في ترك مراده فهو معارض للتقدير في جميع الأمور وحسن [١١] الأدب في دخول البيت والمقام، [و] التسليم بنعت الرضا دون المعارضة ونزاع البشرية، ومن دخل مقام المراقبة آمن بُعد الاستقامة من الخطرات الرديَّة، ومن دخل مقام الخوف أمات الله عنه خوف زوال المحبَّة، ووقِّر بنور الهيبة عند جميع الخلق، ومن دخل مقام المحبَّة أَمِنَ من الإبعاد والطرد والغضب، ومن دخل مقام الشوق أمنت روحه من ارتباطها في عالم المُحْدَثات، ومن دخل مقام العشق صار مُتَّصِفاً بصفات

الحقِّ، وخرج من أوصاف النفس آمن من غَبن النُكرة، ومن دخل مقام المعرفة أمن من غَبن النُكرة، ومن دخل مقام اليقين آمِنَ من غبار الشكِّ والرِّيب، ومـــن دخـــل سُرادقات التَّوحيد جنحت عنه خواطر الشرك؛ لأنَّ حقيقة التَّوحيد الخـــروج عـــن عرصة النفس وسجن الوسواس وعلائق مشاهدات البشرية، وقطع عوائق الإنسانية عن أوطان الذكر، ومن دخل مقام الذكر اطمأن برؤية المذكور، وخلص عن ذكـــر ما سوى الحق، وإذا خرج العبد عن نفسه وشهواته بلغ مقام صفاء العبوديَّـــة، وإذا بلغ صفاء العبوديَّة بلغ صفاء الحريَّة، ومن بلغ صفاء الذكر ودخل فـــي مشـــاهدة المذكور أمن من عذاب القبور، ومن دخل مقام التفكُّر غاصت روحه فـــي بحـــار أنوار الملكوت، وتُرَى في أصداف الغيوب وجواهر الجبروت، وسَلِمتْ من ربْـــق النفس وطوارق الشيطان، ومن دخل مقام الحياء تصدَّعتْ عن مزار قلبـــه أرجـــل الشياطين، وتقدَّست سرُّه عن نفح الوسواس، من دخل سرُّه في جناب الأُنس ســـكن قلبه في ظهور أنوار القدس وروحه في بروز القِدم، ومن دخلت نفسه فـــي مـــراد الحق وخرجت عن مُرآياة الخلق سكن قلبه بنور الإخلاص، وروحه بنور الصِّدق، وعقله في صفاء العبوديَّة، ومن دخل نور الإيمان عقله رأى قلبه حقائق البـــراهين بسراية أسرار الهويَّة في الحقائق الكونيَّة في النجوم والأقمار والشُّـــموس، فنـــادى متضرِّعاً إلى حضرة المتعال تعالى عمَّا سواه، إني لا أحبُ الآفلين. فكل ما ســـواه آفل في عماء القدم ونماء العدم، كل شيء هالك إلاَّ وجهه، ولكل وجهةٌ هو موليِّها. فأينما تُولوا فثمَّ وجه الله، فهذا من جملة أسرار المقام الإبراهيمي ودخوله. جعلنا الله وإيَّاكم من الداخلين مقام الخليل ظاهراً وباطناً، وحققنا بأسراره وراثةً ودرايةً آمين بحرمة الخليل والحبيب، وآلهما وصحبهما آمين اللهم آمين.

{مقصد شريف، ومشهد منيف}

في أسرار الآيات المكيَّة وإشارات البينات البكيَّة

معدن النفحات الرحمانيَّة ومهبط البركات الربانيَّة جلوة كعبة الحســـن ونضرة روضة المزن أفاضنا الله في صوب ساريتها وغاديتها بفيض فضله. قـــال تعالى: ﴿فيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ قال أهل التحقيق: للآيات مراتب منها آيات ظاهرة، وآيات

باطنة. أخرج السيوطي في الدُّر المنثور عن ترجمان القرآن حبر الأمَّة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: فمن الآيات مقام إبراهيم أثر قدميه على المقام وقيامه عليه عند الدَّعوة إلى الحجِّ. **إشارة كشفيَّة مكيَّة**: رأيتُ مرَّة في المنام بعد إتمامي بناء المقام كأن الخليل عليه السَّلام راكب على المقام يعلو تارة تحته، وتارة يساوى البيت، وتارة يفوق البيت. فنادى ثلاث مرار بقوله: هو هو هو من جانب الركن العراقي فانتبهت حايراً هايماً فتحققت بحمد الله وفضله أنَّ المقام هو مشهد [١٢] الخليلي قام عليه وبنى البيت المحرَّم، ودعا الأرواح إلى بيت الحرام كما ذكر في الأخبار وسبق تفصيله فصحَّت الأخبار عندي بالكشف الصريح والله الولي الفيَّاض.

وقال مجاهد في تفسيره:﴿**فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ**﴾ أثر قدميه في المقام على ممر الليالي والأيام"(٥٣).

قال الكلبي: "الآيات: الكعبة، والصَّفا، والمروة، ومقام إبراهيم". قال بعض العارفين من المحققين: "توكيل الملائكة لخدمة أهل الكعبة كما وردت الإشارة في القرآن:﴿ **يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾ فأجيب خليل الله حين دعا بقوله: اللهم ارزق أهله من الثمرات، فأمر الله جبريل عليه السَّلام فقلع أرض الطائف فطاف بها، فوضعه بجوار البيت المحرَّم، ووكَّل سبعة أملاك يمدُّون أهل الحرم بالثمرات، فمن الآيات البيِّنة سعة الحرم الشريف للحُجَّاج، وإن دخل أهل العالم بأسره لكان يسعه. ومنها غيبة الأحجار من الجمار من زمن إبراهيم تُرى ولا تُحمل من محلِّها ولا تنقص.

ورد في الحديث:"**من قُبلت حجَّته رُفعت جمرته**"(٥٤) إلى غير ذلك. ومنها لا يعلو الطير البيت الحرام، ولا يقع إلا تشفِّياً، ولا يصيد في الحرم، ولا يتبعه إذا دخل الحرم، ومنها إذا عمَّ المطر الأركان عمَّ الخصب الأماكن حواليها، وإذا خصَّ ركناً خصَّ مكاناً نحوه، ومنها هلاك أصحاب الفيل وغيرهم بالرِّيح كما ذُكر في

---

(٥٣) تفسير مجاهد ١/١٣٢

(٥٤) لم أقع عليه.

التواريخ من أنواع الآيات الظاهرة، فتح الله أبصارنا بالمشاهدات [و]الآيات المكيَّة، وبصائرنا بالمكاشفات البكيَّة.

قال الشيخ الكامل في "العرائس الفرقانيَّة": البيت مرآة العارفين، يتجلَّى الحقُّ لهم بوسائط الآيات، أبهم الحق سرَّ ظهوره فيه لئلا يطلع عليه أجنبي من هذه القصة، وشأن البيت المحرَّم وشجرة موسى عليه السَّلام سواء تجلَّى منها لموسى عليه السَّلام، ويتجلَّى منه لأمة محمَّد عليه الصلاة والسَّلام فأشار سبحانه بالآيات البيِّنات إلى نفسه تعالى وتقدَّس عن الحلول والنزول والتحيُّز بنعوت الانتقال.

قال الأستاذ قدَّس سرُّه: فيه آيات بيِّنات، ولكن لا يدرك تلك الآيات بأبصار الرؤوس ولكن ببصائر القلوب.

وقال محمد بن الفضل: فيه آيات بينات، علامات ظاهرة يستدلُّ بها العارفون على معروفهم، قيل للشيخ الأكبر في الفتح المكي قُدِّس سرُّه.

انظر البيت نوره يتلألأ	**لقلوب تطهَّرت مكشوف**
نظرته بالله دون حجاب	**فبدى سرُّه العلي المنيفُ**
وتجلَّى له من أفق جلا لي	**قمر الصِّدق ما اعتراه خُسوف**
لو رأيت الوليُّ حين يراه	**قلتَ فيه مدَّ له ملهوف**
يلثم السر في سواد عيني	**أي سرٍّ لو أنه معروف**
جُهلت ذاته فقيل كثيف	**عند قوم وعند قوم لطيف**
قال لي حين قلت لِمَ جهلوه	**إنما يعرف الشريف شريف**
فيه مقام إبراهيم مصلى	**يا حبَّذا المشهد المنيف**

{ حكاية لطيفة }

حكى صاحب كشف الأشرار في تفسيره(٥٥) أن عارفاً من أولياء الله تعالى قصد الحج وكان له ابن فقال ابنه: إلى أين تقصد؟ فقال: إلى بيت الله الحرام، فظنَّ الغلام أنَّ من يرى البيت يرى رب البيت، فقال: يا أبتي، لِمَ لا تحملني معك؟ فقال: أنت [١٣] لا تصلح لذلك، فبكى الغلام فحمل معه، فلمَّا بلغا الميقات أحرما

---

(٥٥) عرائس البيان وسبق التعريف به.

ولبَّيا، إلى أن دخل الحرم وشوهد البيت فتحيَّر الغلام عند رؤيته، فخرَّ ميتاً فدهش والده وقال: أين ولدي؟ فنودي من زاوية البيت. أنت طلبت البيت فوجدته، وإنَّه طلب من ربُّ البيت فوجد ربَّ البيت. فرُفع الغلام من بينهم. فهتف هاتف: إنه ليس في قبر ولا في أرض ولا في سماء، هو [في] مقعد صدق عند مليك مقتدر.

{قصيدة}

يا كعبة الحسن يا قلب الوجود	**يا روضة المزن لأهل**
ما أنت أنت إلاّ نسور الإله	**يا منبع النفحات والجود**
فيك المقام، مقام الخليل	**حبذا المصلَّى لأهل السجود**
سرُّ صلاة وخلَّة من آية	**فكم فيه من آيات الودود**

واردة مكيَّة في مبشرة مكيَّة مقاميَّة}

نفعنا الله بآياتها

ألقاها الوارد الغيبي والشاهد المكي على العبد الملهوف والفقير المأسوف حين كنتُ مشغوفاً بتعمير المقام الإبراهيمي وتجديده، مجتهداً بتزيينه بخطوط الأسماء الإلهيَّة، والآيات القرآنيَّة مما يناسبها تعظيماً لحضرة المقام، فمن جملة ما كتبت في القبة الخارجيَّة عند شبَّاك الصندوق الذي فوق المقام على رؤوس المصلِّين خلف المقام. رسمتُ اسم "هو" في مركز قبَّته لمعنى شاهدته من أسرار الهويَّة وسريان الربوبيَّة من الحضرة الخليليَّة، ومشهده في أطوار الأنوار من النجوم والأقمار لما شهدها في أطوار مظاهرها ومشاهدها فأخذت تقسيم الوفق المقامي منه، وكتبت أسماء التربيع العرفاني الذي سئل عنه سيدنا علي بن أبي طالب رضى الله عنه بِمَ عرفت الله؟ فقال: بتلك الآية الفريدة: ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٥٦) ورسمتُ حوالي الآية الكريمة وفق الهو ثمَّ وفق حضرة الجلالة لمقصد ألقاها الوارد وأفاضه الشاهد فشاهدتُ بعد إتمام الخطوط والنقوش وأنا نائم قبالة الحرم على الجدار المرتفع عند المنارة بمدرسة

(٥٦) الحديد آية (٣)

المباركة مدرسة قايتباى، كأني سمعتُ من السماء ذكر لفظة "هو هو هـو" يريـد انتباهي بذلك عن نومي وغفلتي. طرأ على روعي وروحي فنظرتُ نحو الكعبة بين النوم واليقظة فإذا إبراهيم الخليل عليه السَّلام راكب على المقام يعنى كهيئة الراكب لمعنى المشهد. تارة يساوى حضرة البيت، وطوراً يفوقه، وطـوراً ينـزل هيئـة الطائف يطوف بالبيت، فناداني من جانب الرُّكن العراقي بقوله: "هـو هـو هـو" وموضع المطاف ممتلئ بوجوده الشريف، فأجبتُه مرارا بقوله: "هو هو هو" اقتباسا من نفسه العالي الخليلي فانتبهتُ من ثقل الوارد منزعجا مبتهلاً متضرِّعاً. فنسأل الله من فيض فضله أن يمدَّنا بأنفاسه الشريفة الخليليَّة ظاهراً وباطناً.

{ واردة ربانية }

وكنتُ أرى قبيل تلك المبشِّرة حين كنت متردِّداً في أن أكتب من فضائل الحجر الأسود مع فضائل المقام لأنهما جوهران أخوان توأمان كالفرقدان خرجا من الجنان مع آدم عليه السَّلام فاقتصرتُ الرسالة على فضل المقام ومناقبـه الشـريفة فكأنِّي شاهدتُ بعد ذلك كأنَّ الحجر الأسود المكرَّم قاعد على المقام محرماً متَّـزراً منحرفاً عن استقبال الباب [١٤] فتارة ينظر إلى ركنه ومحله عند الملتزم، وطـوراً يلتفت خلفه وهو في صورة شاب أمرد حبشي أسود حدقتى الأشفار سوابغ في غاية الحسن والنِّظام وأنا الفقير كالعاشق الهايم واقف خلفه وهو في صورة يتبسَّم. فتارة يلتفت إلى محله وتارة إلى العالم وأنا أنقر بنقرٍ خفيفٍ بأظافري بين كتفيـه فتـارة تَظْهر كلمتا الشهادة تحت جلده من بين كتفيه وتارة تختفى، ويظهر الخـط المتخـذ بخطوط الذهبيَّة تتلون بألوان فانتبهتُ وجلاً مسروراً كأن جسمي النحيف اضـمحل وامتلأ روحاً وصفاءً، فعلمت في ذلك المشهد المكي أن حضرة الحجر المكرَّم لـه سلطان على الظاهر والباطن والمقامات المكيَّة ومشاعرها كلِّها؛ لأنه يد الله ويمينه، يبايع بها عباده ويصافح، ومخزن مواثيق الأرواح والعهود الأَلَسْتيَّة الأزليَّة ألقمهـا الحق إياه. فإنه يجيء يوم الحشر يشهد لمن استلمه كما نطقـت بفضـله الأخبـار الأحمديَّة في الكتب المعتبرة الصَّحيحة، فنسأل الله من فيض فضله أن يحيينا ويميتنا

ويحشرنا على كلمة الإخلاص، ويشهد لنا يمين الله بالوفاء ويطلعنا على مشاعر المكيَّة وأسرار آياتها ومقاماتها آمين اللهم آمين.

{ واردة مكيَّة }

ورأيت مرَّة كأنَّ مفتى مكَّة وفاتح بابها محمد الشيبي(٥٧) مع العلماء قاعدين قبالة المقام الإبراهيمي، وعندهم سجادات مفروشة يُقرأ على الشيخ الزمزمي(٥٨) مفتى مكَّة كتاب "فتح الباري" عقيب استخارتي بعد وصول الأخبار مما جرى في دار الجهاد، ومن شهادة عسكر الإسلام فنرجو الله تعالى من فضله أن يفتح على سلطان صدر الألف ورأس المائة من الممالك مما يفرش عليها من سجادات الشريعة الأحمديَّة والدولة الإسلامية، والله الولي الفتَّاح.

{ واردة غريبة مكيَّة }

ورأيتُ مرَّة ما يرى النائم كأني أشاهد جبال الدُّنيا تطوف بالبيت المحرَّم وتسعى كلها كبيرها وصغيرها في الحرم والمطاف. فجاء جبل عظيم من بلادنا وضرب قاعدة السَّرير الذي أنا نائم عليه في خلوة رفيعة مشرفة إلى حضرة البيت الحرام فسقطت على وجهي وقاعدة السَّرير الذى أنا عليه انكساراً بيِّناً جديداً، فنسأل الله من فيض فضله أن يؤدبنا في حضرة حُرمه بما يليق لحضرة حريمه ويعصمنا من سوء الآداب فيه، فهذا مشهد غريب أراد به تأديبي وانتباهي عن غفلتي، نبَّهنا الله وإيَّاكم بكمال كرمه بقول العبد الفقير، فهذه المبشرات المكيَّة من جملة الآيات البكيَّة ووفقنا الله وإيَّاكم لمشاهدة الآيات ظاهراً وباطناً، ويؤدِّبنا عند حضرته بالآداب الشرعيَّة بما يليق بكلِّ مقام ويمنُّ علينا من أسرار المقام الخليلي والتحقق بمقامه الأجلي معرفة ووراثة، وذوقاً وشهوداً، ونرجو بتلك المبشرة أن يكون إشارة

---

(٥٧) فقيه شافعي، من فضلاء مكة، رحل رحلة طويلة، وولي سدانة الكعبة، ثمَّ قضاء مكة. من كتبه (تمثال الأمثال ، مخطوط) مجلد. توفي عام ٨٣٧هـ.

(٥٨) عبد الغزيز بن علي الزمزمي المكي الشيرازي الشافعي، فقيه من أعيان مكة. من كتبه نظم علم التفسير، شرح حديث شيبتني هود. توفى عام ٩٧٦هـ.

إلى قبول الخدمة الشريفة التي أتمَّها الله على يد أفقر الورى تراب نعال الفقراء وهو الفيَّاض الفتَّاح، قال الشيخ الأكبر في "الفتوحات المكيَّة" في مدح الكعبة والمقام:

يا رحمة الله للعبادي ... ودعك الله في الجماد

يا بيت ربي يا نور قلبي ... يا قرَّة العين يا فؤادي

يا سرَّ قلب الوجود حقاً ... يا حرمتي يا صفاء ودادي

يا قبلة أقبلت إليها ... من كل ربعٍ وكلِّ وادٍ

[١٥]ومن بقاعٍ ومن سماءٍ ... ومن فناءٍ ومن مهادٍ

يا كعبة الله يا حياتي ... يا منهج السعداء يا رشادي

أودعك الله كل أمنٍ ... من فزع الهول في المعاد

فيك المقام الكريم يزهو ... فيك السَّعادات للعبادي

فيك اليمين التي كستها ... خطيئتي بردة السَّواد

ملتزم فيك من يُلازم ... هواه يسعد يوم التَّناد

ماتت نفوس شوقاً إليها ... من ألم الشوق والبعاد

من حزن ما نالها عليهم ... قد لبست خُلَّة الحِداد

لله نور على ذراها ... من نوره للفؤاد بادي

فما يراه سوى حزين ... قد كحل العين بالسُّهادي

يطوف سبعاً في إثر سبع ... في أوَّل الليل للمنادى

بعبرةٍ ما لها انقطاع ... رهين وجد حلف اجتهاد

سمعته قال مستغيثاً ... من جانب الحجرات فؤادي

قد انقضى ليلنا حثيثاً ... وما انقضى في الهوى

[٦] { المشهد السادس }

في أوائل المكيَّة من المشاعر والمناسك والمواقيت والمعالم والمقامات والشعائر

وأسباب أوضاع المواقيت والأعلام وأوائل الخيرات بمكة زادها الله تشريفاً وتعظيماً

وقد عقدتُ باباً في كتابي "الأوائل والأواخر"، ولكن أزيد الإخبار بإيراد الأوائل في أوائل الأسطر تسهيلاً للضبط على نمط كتاب الأوائل والله الموفق الفيَّاض.

أوَّل بقعة وضعت في الأرض موضع البيت ثمَّ مدَّت منها الأرض، وإنَّ أوَّل جبل وضعه الله تعالى على وجه الأرض "أبو قبيس"، ثمَّ مدَّت منه الجبال.

أقول: قد اختلف المفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ** ﴾ (٥٩) واختلف أهل الحديث في معنى قوله صلَّى الله عليه وسلم: "أوَّل بقعة" في كيفيتها على أقوال:-

عن على رضى الله عنه في تفسير الآية: "كان أوَّل بيت وضع لعبادة الله تعالى للذي ببكة، وكان قبله بيوت".

وعن الحسن بن على رضى الله عنهما في تفسير الآية قال: "إن أوَّل بيت يعبد فيه الذي وضع للناس ببكة".

وقال: "أوَّل قبلة أعملت للناس المسجد الحرام". وعن أبى هريرة رضى الله عنه: "أنَّ الكعبة خُلقت قبل الأرض بألفي سنة، وإنما كانت حشفة على الماء، عليها ملكان من الملائكة يسبِّحان، فلمَّا أراد الله أن يخلق الأرض دحاها منها، فجعلها في وسط الأرض يعنى كالسُّرة والمركز".

---

(٥٩) آل عمران آية (٩٦)

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: "خلق الله البيت قبل الأرض بألفي سنة، وكان إذ كان عرشه على الماء زبدة بيضاء، وكانــت الأرض تحتــه كأنهــا حشفة، فدُحيت الأرض من تحته". وقيل: "هو أوَّل بيت بناه آدم واتخذه قبلة".

وعن الحسين بن على رضى الله عنه: "أنَّ الله بعث ملائكته فقال: ابنوا لي بيتاً في الأرض بمثال البيت المعمور وقدره؛ يطوف به أهل الأرض كما يطــوف أهل السماء بالبيت المعمور، وهذا كان قبل آدم عليه السلام".

قال الإمام النووي: "أصح الروايات قول الجمهور، وهو: أنــه أوَّل بيــت وضع مطلقاً". أقول: وقد ذكر المؤرخون في بنائه أقوالاً:-

القول الأول: "بنيت خمس مرَّات". والثاني: "سبع مرات". والقول الثالــث: "عشر مرات" والأشهر الأصحُ [١٦] عند المحققين عند النووي وغيره: "أنها بُنيت سبع مرات"، أولها: بناء الملائكة، وآخرها: بناء عبد الله بن الزبير رضى الله عنه مع بناء الحَجَّاج من قبل الميزاب. وهو الموجود اليوم سنة إحدى وألف من الهجرة.

{ أوَّل من طاف بالبيت الملائكة}

قال ابن عباس: "كان البيت من زُمردة خضراء، بنته الملائكة". وسُئل زين العابدين بن علي بن الحسين رضى الله عنهم عن بدء الطواف بالبيت فقال: "حــين قالت الملائكة: أتجعل فيها من يفسد ...إلى آخر الآية فظنُّوا أنَّهم أخطــؤا، وردُّوا بالاعتراض على ربِّهم فلاذوا بالعرش وطافوا ثلاث ساعات فنزلت الرحمة علــيهم فوضع الله البيت تحت العرش فطافوا به وتركوا العرش هوناً لهم ورحمةً، وسميت ذلك البيت الصرّاح، وهو البيت المعمور، شاهد رسول الله صلَّى الله عليــه وســلَّم إبراهيم عليه السَّلام وهو مسند ظهره بالبيت المعمور، يدخل كلَّ يوم فيه ســبعون ألف ملك يدخلون من باب ويخرجون من باب لا يتكرر منهم ملك إلى يوم القيامة، فهذا البيت المكي من خمسة عشر بيتاً، سبعة منها في السماء، وسبعة في الأرضين، فهى بينهن كالمركز والقلب، وكالدُّرة اليتيمة وسط العقد يقابل بعضها بعضاً، ولكلّ

بيت عمَار، وزوَار، وحُرُم، ومواقيت، لو سقط منها بيت لسقط بعضها في بعض".
أخرجه السيوطي في تفسير الدر المنثور من طرق مختلفة([٦٠]).

{ أوَّل من لبَّى بالطواف }

أوَّل من لبَّى بالطواف الملائكة حين قال الله تعالى: ﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ** ﴾ ([٦١]) فـرآدُّوه بكلامهم فأعرض عنهم فطافوا بالعرش سنين يقولون: لبيك اللهم لبيك، اعتذاراً إليك، لبيك لبيك، نستغفرك ونتوب إليك.

أخرجه في الدُّر المنثور.([٦٢])

{ أوَّل من لبَّى من الأنبياء}

أوَّل من لبَّى من الأنبياء إبراهيم عليه السَّلام حين قيل لـه: أذِّن في النَّاس بالحجِّ. قال: كيف أقول؟ فقيل له: قل: لبيك اللهم لبيك، فكان إبراهيم أوَّل من لبَّى.

وأُخرج أيضاً في تفسيره عن علي رضى الله عنه لما نادى إبراهيم بالحج لبَى الخلق عند استماعهم وكلُّ بنى آدم قد سمع فمن لبَّى مرَّة حجَّ مرَّة، فمن كرَّر حجَّ على قدر تلبيته، وسمع دعوته ما بين الأبحر، فمن في قلبه مثقال ذرَّة من الإيمان في الأصلاب والأرحام، ولم يزل في الأرض سبعة أنفس من المسلمين.

أخرج السيوطي عن عكرمة قال: "لمَّا أُمِر إبراهيم بالحج قام على المقام فنادى نداءً سمعته جميع أهل الأرض ممن في الأصلاب والأرحام وتحت البحور، فنادى حين دعا: ألا إنَّ ربَّكم قد وضع بيتاً وأمركم أن تحجُّوه. فمن أجاب ولبَّى حجَّ

([٦٠]) انظر الدُّر المنثور ٣١١/١، ٦٢٧/٧، ٦٢٨/٧
([٦١]) البقرة آية (٣٠)
([٦٢]) انظر الدُّر المنثور ١١٣/١

على قدر إجابته وتلبيته، فجعل الله أثر قدميه في صخرة المقام، وهو آية من آياته سبحانه".([٦٣])

{ أوَّل من أجاب نداء إبراهيم عليه السَّلام }

أوَّل من أجاب نداء إبراهيم عليه السَّلام حين أذَّن بالحجِّ **أهل اليمن**. وقيل: أوَّل من أجاب جُرْهُمْ؛ لأنهم أوَّل طائفة دخلوا الحرم واستقروا فيه، وحجُّوا وآمنوا بإبراهيم وإسماعيل، وأصلهم من اليمن كما ذُكر في "تاريخ مكَّة" للأزرقي.

{ أوَّل تعبُّد }

أوَّل تعبُّد عمله آدم عليه السَّلام حين أهبط من السماء. طاف بالبيت الحرام فلقيته الملائكة. فقالوا: يا آدم، برَّ نسكك، لقد طُفنا بهذا البيت قبلك بألفي عام، قال: فما كنتم تقولون؟ قالوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاَّ الله، والله أكبر. قال آدم: فزيدوا: ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله، فزادت الملائكة.

ثمَّ لمَّا حجَّ إبراهيم عليه [السلام] قيل [له] ما قيل لآدم عليه السلام، فقال للملائكة: زيدوا "إلاَّ بالله العليِّ العظيم" فقالت الملائكة، ولذلك قال العلماء: أفضل الأذكار في الطواف "سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاَّ الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليِّ العظيم"

أخرجه السيوطي في الدُر المنثور.([٦٤])

{أوَّل من أهدى البُدن إلى البيت}

أوَّل من أهدى البُدن إلى البيت المحرَّم وذبحها وفرَّقها على فقراء الحرم وسكانها إلياس بن مضر، وكان يسمع تلبية رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم من صلبه، وكان يقول فيه النبي صلَّى الله عليه وسلَّم: "**لا تسبُّوا إلياس بن مضر**"، وهو من مؤمني أهل الفترة، وهو أوَّل من وضع مقام إبراهيم عليه السَّلام بعد

([٦٣]) انظر: تفسير الطبرى ١٤٤/١٧، الدر المنثور ٣٢/٦، ٣٤/٦، تفسير مجاهد ٤٢٢/٢، أحكام القرآن ٦٣/٥

([٦٤]) انظر الدُر المنثور ٣٢١/١

الطوفان"(٦٥) ولم يزل العرب يعظِّمه حتى جاء الإسلام، فأمرنا أن نصلِّي عنده، ولم نؤمر بمسحه، وكانت الأمَّة تتكلف بالمسح حتى اخلولق وانماح وخفي أثره اليوم، فلذلك مُنع المسح والاستلام فحُجِر في صندوق من الحديد وهو الآن عليه. من "تاريخ مكة".

{أوَّل من نصب أنصاب الحرم }

أوَّل من نصب أنصاب الحرم وأعلام المواقيت إبراهيم عليه السَّلام، أراه ذلك جبريل عليه السلام، فلمَّا كان يوم الفتح بعث رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بعض الصحابة، فجدد الأنصاب والأعلام، وقيل في سبب وضع الأنصاب هناك: كان الحجر الأسود والمقام يُضيئان إلى انتهاء الأنصاب الحرميَّة فحيث ما أضاء انتهى حدُّ الحرم إلى ذلك المكان، وكانت الملائكة تقوم على أطراف الحرم يحرسونه حيث اليوم أعلامه وأنصابه، محدقون به من كلِّ جانب، وسكَّانها يومئذ الجنّ، وإنما سُمي الحرم لأنَّهم لا تجاوزه، وكان ترعى غنم إسماعيل في الحرم لا يجاوزوه، وأيضاً كان تضيء خيمة آدم عليه السَّلام إلى حدِّ الحرم فحيث انتهى نورها كان الحرم.

من الدُّر المنثور(٦٦)

{ أوَّل من أسَّس البيت وصلَّى فيه }

أوَّل من أسَّس البيت وصلَّى فيه واتخذه قبلة وطاف به: آدم عليه السَّلام، فقيل له: "أنت أوَّل النَّاس، وهذا أوَّل بيت".

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال رسول الله صلَّى الله عيه وسلم: "**بعث الله جبريل فجعل آدم يحفر وحوى تنقل حتى أجابه الماء، ونودي من تحته: حسبك يا آدم، فلمَّا بنياه أوحى الله أن يطوف به، فقيل له: أنت أوَّل الناس، وهذا أوَّل بيت**".

من الدُّر المنثور(٦٧)

---

(٦٥) لم أقع عليه.

(٦٦) لم أقع على هذا النقل.

{ أوَّل حجَّة }

أوَّل حجَّة حجَّها آدم عليه السَّلام وهو واقف بعرفات، آتاه جبريل فقال: "يا آدم، برَّ نُسُكك، أمَا إنَّا قد طفنا بهذا البيت قبل أن تُخلق بخمسين ألف سنة.

من تفسير الدُّر المنثور([٦٨])

{ أوَّل من سمَّى عرفات بعرفة }

أوَّل من سمَّى عرفات بعرفة جبريل عليه السَّلام حين علَّمه المناسك والمشاعر، فلمَّا انتهى معه إلى عرفة، قال له: عَرفت يا إبراهيم؟ فقال: عرفت. لتعريف المشاعر، وعرفة آخر المشاعر كما ذُكر في "تاريخ مكَّة" للأزرقي.

{أوَّل من بنى البيت على القواعد}

أوَّل من بنى القواعد الأوليَّة الملَكيَّة والآدمية إبراهيم وإسماعيل، وهو بناء ثالث. الأولى ملَكيَّة، والثانى آدميَّة، وكان موضع البيت بعد الطُّوفان أكمة حمراء لا تعلوها السُّيول، وكان يأتيها المظلوم والوحوش والطيور احتماءً واستشفاءً، ويدعو عندها المكروب.

السيوطي في الدُّر المنثور([٦٩])

[١٨]{أوَّل من بنى البيت على القواعد الأوَّليَّة الملكيَّة}

عن مجاهد أنه أقبل الملك والصَّرِد([٧٠]) والسكينة، وهى سحابة فيها رأس، فقالت: يا إبراهيم، إن ربك يأمرك أن تأخذ قدر هذه السحابة. فجعل ينظر إليها ويخطُّ قدرها، فقال الرأس: يا خليل الله، أقد فعلت؟ قال: نعم. ثمَّ ارتفعت، فحفر، فأبرز عن أساس ثابت في الأرض.

---

(٦٧) الدُّر المنثور ٣١٢/١

(٦٨) انظر الدُّر المنثور ٣١٥/١

(٦٩) انظر الدُّر المنثور ٣٢٢/١

(٧٠) الصَّرد. لسان العرب ٢٤٨/٣

وعن جعفر الصادق رضى الله عنه في بعض الأخبار لمّا قالت الملائكة: أتجعل فيها من يُفسد [فيها] فغضب الربُّ عليهم فلاذوا بالعرش المجيد مستجيرين طائفين حوله يسترضون ربَّهم، فرضى سبحانه عنهم. وقال: ابنوا لي بيتاً في الأرض يُعاذ به، ويلتجئ إليه كل من سخطتُ عليه كما فعلتم أنتم بعرشي، فهذا بناء ملكيٌّ أوّليٌّ كما ذُكر في الأخبار القدسيَّة.

{ أوّل من سمَّى الصفا بالصفا}

أوّل من سمَّى الصفا بالصفا أنَّ آدم الصفيَّ وقف عليه فسُمِّيَ به، فقيل له: أرحب يا صفي الله، ووقفت حوَّى على المروة فسُمِّيت بذلك باسم المرأة فأُنِّثَتْ لذلك.

من مناسك بحر العميق([^71]).

{ تحريم الله للحرم }

أوّل ما حرَّم الله الحرم أنَّه لمَّا خاف آدم عليه السَّلام على نفسه من الشياطين بعد الهبوط والتَّوبة والاجتباء استعاذ بالله فأرسل ملائكته حفُوه من كل جانب ووقفوا حواليها فحرَّم الله الحرم من حيث كانت الملائكة ووقفت، وكان الركن يضيء، وخيمته التي نزلت مع آدم عليه السَّلام من ياقوتة حمراء لقد كانت تلك الخيمة تضيء أيضاً إلى حدِّ المواقيت والمشاعر.

أخرجه السيوطى في كتاب "الحبائك في أخبار الملائك"([^72])

{ أوّل من عيَّن المناسك والمشاعر والمواقيت بعد آدم }

أوّل من عيَّن المناسك والمشاعر والمواقيت بعد آدم الصَّفي ونوح النجيِّ بعد الطُّوفان إبراهيم عليه السَّلام، أراها له جبريل عليه السَّلام حين قال بعد إتمام

---

[^71]: **البحر العميق في مناسك المعتمر والحاج إلى البيت العتيق: لأبي البقا : محمد بن أحمد بن محمد بن الضيا المكي العمري القرشي الحنفي المتوفي : سنة ٨٥٤، أربع وخمسين وثمانمائة وهو كتاب مبسوط أوله: (الحمد لله الذي جعل البيت الحرام قياما للناس . . . إلخ) رتب على : عشرين باباً. كشف الظنون ١/٢٢٥ ، هدية العارفين ١/٥٥٥**

[^72]: **كشف الظنون ١/٦٢٩، هدية العارفين ١/٢٨١.**

البيت:"ربنا أرنا مناسكنا" فقام علا المقام فطال تحته حتى على فوق الجبال، فـأراه جبريل عليه السَّلام جميع المواقيت، وأوّل من جدَّد الأنصاب في الإسلام بعد الفتح تميم بن أسد الخزاعي(٧٣) بأمر رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم كما ورد في الصحيح.

ونقل الأزرقي في تاريخه أنَّ الحرم حرم بجباله إلى العرش ولكلٍّ حرم أنصاب ومناسك وعُمَّار وزوَّار مقابل بعضه بعضاً كما ذكر في مناسك بحر العميق وغيره.

{أوّل ما تعيَّن عند البيت المحرَّم من المشاعر المكيَّة والآيات البكيَّة}

أعنى به ماء زمزم؛ لأنه هو مظهر العلم اللدني، وكان سبب تعيُّنه كمال طلب هاجر أم إسماعيل عليه السَّلام بكمال الافتقار وجدِّ الطلب الصادق، فكذلك العلم اللدني لا يطلب إلاَّ بكمال الافتقار والطلب الصَّادق، فالكعبة مظهر الوحدة الذَّاتيَّة والزَّمزم مظهر الصُّورة اللدنيَّة.

ذكره صدر الدين القونوى في الفكوك(٧٤)

{ أوّل من أخرجت له زمزم }

أوّل من أخرجت له زمزم إسماعيل عليه السَّلام حين سعت أمُّه بين الصَّفا والمروة ملتمسة لولدها الماء، فكانت أوّل من سعى بعد آدم عليه السَّلام بين

---

(٧٣) **تميم بن أوس بن خارجة اللخمى، من بنى الدار فنسب إليها. صحابى جليل. كان راهباً نصرانياً في فلسطين عندما قامت الدعوة، فوفد على النبي مع أخ له يدعى نعيم في وفد من بني الدار، وذلك في العام التاسع للهجرة بعد غزوة تبوك، ودخلا في الإسلام، وارتحل تميم الدارى إلى المدينة وعاش بها، وبعد مقتل عثمان عاد تميم الدارى إلى فلسطين وتوفي بها عام ٤٠هـ وقد روى له البخارى ١٨حديثاً. ووضع المقريزى رسالة عنه.**

(٧٤) **الفكوك في مستندات حكم (الفصوص) للشيخ صدر الدين: محمد بن إسحاق القونوي المتوفي**: سنة ٦٧٣، ثلاث وسبعين وستمائة أوله : (الحمد لله الذي طلع من مشارق غيبه **الأخفي** شموس أنواره الباهرة . . الخ) كشف الظنون ١٢٨٨/٢

المروتين. فلكلٍ عصر وقرنٍ أوائل. فلمَّا أشرفت في المرَّة السَّابعة وكانت تشـرف من الجبلين في كل مرة، فرأت من جبل الصَّفا ماءً مَعِيناً تجرى عند قدم إسـماعيل عليه السَّلام وفي الخبر: "**زمزم هزمة جبريل، وسقياء الله إسماعيل؛ ماؤها طعـام طُعم، وشفاء سُقم**.. الحديث"(٧٥) فكم أبرأ الله به من مريض عجزت عنـه حُـذَّاق الأطبَّاء، وفي الخبر: "**لو تركته أم إسماعيل حين سالت لكانت عيناً جارية**".

وذكر المؤرخون من أهل مكَّة أن في قعره ثلاثة عيون: عين من تحـت الكعبة هي [١٩] من الجنة في صورة لبن وطعمه، وعين من صوب الصَّفا في طعم ماءٍ عذبٍ، وعين من صوب المروة في طعم ماء مالحٍ.

قال أهل الحقيقة: المثلَّثة إشارة إلى مراتب التوحيـد الـذاتي والصـفاتي والأفعالي وكمال مراتب التَّوحيد من نتائج العلوم اللدنيَّة، ذكرته في كتابي المسمى بـ "أسرار الحج وحقائق الآيات المكيَّة"(٧٦) صنَّفتُه بمكَّة المكرَّمة زادها الله تشريفاً وتعظيماً.

{ أوَّل من سمَّى زمزم بزمزم }

أوَّل من سمَّى زمزم بزمزم. قيل: هاجر. لضبط مائها حين انفجرت فزمُّها إياها، أى ضبطُها. وقيل: لزمزمة جبريل وكلامه بضرب الجناح. وقيل: لتزمـزم الفُرس عليها قديماً حين كانوا يحجُّون.

وقيل: لكثرة مائها، وقيل: لصوت الماء فيها حين ظهر. والزمزمة صوت الرَّعد، وصوت تخرج من خيشوم الفَرس.

ولزمزم أسماء في الكتب القديمة في الصحف الأولى والأخبار القدسـيَّة، نظم لصاحب بحر العميق:

لزمزم أسماء أتت، فهى برَّة وسيِّدة، بُشرى، وعصـمة.
ونافعـة، مضـنونة، عـون ومرويَّة، سـقياء، وطيِّبـة

---

(٧٥) **سنن الدارقطنى ٢٣٨، مصنف عبد الرازق ٩١٢٤، الترغيب والترهيب ١٨١٦، الفردوس بمأثور الخطاب ٦٤٧٠.**

(٧٦) **لم أقع عليه في كتب الفهارس.**

وهزمة جبريل، وهمزته، كذا مباركة، أيضاً شفاء لا سـقم
ومؤنسة، ميمونة، حرميَّـة وكافيـة، شـبَّاعة بتكـرُّم
ومغذية عُدَّت، وصافية غدَتْ وسالمةٌ أيضاً، طعام الأطعـم
شراب الأبرار، وعافية بدت وظاهرة تكتم، فأعظم بزمزم

{أوّل من قام بالوفادة وسقاية الحاج}

أوّل من قام بالوفادة وسقاية الحاج عبد المطلب، وهى من صنع الضيافة للوفود من الحجَّاج، وهى أعلى مرتبة المشيخة المكيَّة القرشيَّة، أوّل من سنَّها عبـد المطلب حين حفر بئر زمزم، وكانت قبل ذلك مضنونةً مستورةً من قومٍ وعلى قوم استخفوا بالحُرم وحرمة البيت فحُرموا من بركاته، فاستخرج عبد المطلب عند حفره غزالين من الذَّهب عليهما الدُّر والجوهر وسبعة أسـياف وخمسـة أذرع سـوابغ، فضرب من الأسياف باب الكعبة ومن الغزالين صفائح الذَّهب، وجعل الآخـر فـي الكعبة وقفاً، وكان ذلك الكنز خَبِيَّة الشيخ الأعظم قصي، كان جعله علامـة لبئـر زمزم.

ذكره الأزرقي في تاريخه ([٧٧])

{ أوّل من كنَز الكنز المخزون في الغار الذي تحت الكعبة }

أوّل من كنَز الكنز المخزون في الغار الذي تحت الكعبة صار في زمن الخليل عليه السَّلام، رواه الإمام البيهقي وغيره من المؤرخين، والكنـز إلـى الآن مكتوم ومكنون، وذلك أنَّ إبراهيم عليه السَّلام لمَّا بنى البيت لم يجعل له سقفاً، وكان النَّاس يلقون فيه الحليَّ من الذهب وأنواع الجواهر الجليَّة والألواح الجوهريَّة عليها أقلام وأوفاق حُكميَّة سماويَّة إدريسيَّة تبرُّكاً بحضرة المقام وتقرُّباً إلى ربِّه وتعظيماً لبيته وبانيه، فامتلأ البيت من النُّذور والواردات، فكل من قصد أن يسرق شيئاً منه سقط على رأسه، فهلك كثير من النَّاس في طلبه، فكان ذلك من جملة الآيات المكيَّة، فبعث الله عند ذلك حيَّة بيضاء. سوداء الرأس والذنب، فحرست البيـت خمسـمائة

([٧٧]) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ٣٧/٢

عام، لا يقربه أحد إلاَّ أهلكته، فأراد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أن يخرجه ويُنفقه ثمَّ بدى له في ذلك مصلحة إلهية فتركه، ثمَّ أراد عُمر رضى الله عنه فامتنع اقتداء له صلَّى الله عليه وسلَّم، ثمَّ أراد معاوية وهجم فمُنع منه.

وذكر الشيخ الأكبر ابن عربي في الفتح المكي في أوّل باب الحج فقال: جيء إليَّ لوح من ذلك الكنز سنة ثمان وتسعين وخمسمائة وأنا بتونس فيه شق غِلَظُهُ أصبع، وطوله شبر [٢٠] مكتوب فيه بقلم لا أعرفه، فسألت الله أن يردَّه إلى موضعه، ولو أخرجته للناس لثارت فتنة عمياء فتركتُهُ لتلك المصلحة واتباعاً لسنة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وتأدباً معه، فإنَّه ما تركه سُدىً، وإنَّما تركه ليخرجه الخليفة الذي يكون في آخر الزمان يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جوراً، وهو المهدى خاتم الخلافة في آخر الزمان، والله أعلم.

{ أوّل من سُقِى وشرب من زمزم }

أوّل من سُقى وشرب من زمزم إسماعيل، فهي سُؤْره الشافي، فصار إلى يوم القيامة شفاء سقم وطعام طعم، حكى في التَّاريخ لمَّا ترك إبراهيم إسماعيل مع أمِّه ومعها شيء فيه ماءٌ، فلمَّا فرغ ماءها سعت بين الصفا والمروة لطلب الماء، فجاء جبريل وضرب برجله مكان البئر فظهر ماء فجمعت التراب عليه خشية فوات الماء قبل أن تأتى بشنِّها فجاءت وسقت ابنه إسماعيل عليه السَّلام، ثمَّ شربت هاجر ودعت بالبركة فاستجاب الله لهاجر، ثمَّ جاء قوم من جرهم ونزلوا حول زمزم فتزوَّج إسماعيل منهم، وربِّى معهم فعصوا وتهاونوا بعده بحرمة البيت فأخذ الله زمزم منهم فسمِّيت مضنونة؛ لأنَّها ضنَّ بها على غير المؤمنين.

كذا ذكر في تاريخ مكَّة شرَّفها الله تعالى(٧٨)

{ أوّل من حفر زمزم بعد غورها }

أوّل من حفر زمزم بعد غورها عبد المطَّلب بإلهام، ذكر الأزرقي في تاريخ مكَّة عن بعض أهل العلم أنَّه لمَّا استحفَّ جرهم بالحرم وأكلوا مال الكعبة وارتكبوا عند زمزم أموراً منكرة

---

(٧٨) تاريخ مكة وما جاء فيها من الآثار ٣٥/٢

منها: يغتسلون من الجنابة فانقطع حتى عبي مكانه، ومرَّت عليه السُّيول إلى أن قيل لعبد المطلب في المنام احفر المضنونة، ضننتُ بها على النَّاس لا عليك، فاستيقظ ولم يدر موضعه، ثمَّ قيل له في الثالث: احفر زمزم بين الفرث والدم عند نقرة غراب الأعصم، فقعد غداً في الحرم يتفكر في رؤياه، فجاءت بقرة انفلتت من جازرٍ فسقطت برمقها موضع البئر فماتت، فجاء غراب فوقع الدم والفرث عند قرية النمل فحفر هناك حتى وصل الماء فوجد كنزاً كما مرَّ ذكره.

{ أوَّل من حمل ماء زمزم عند رجوعه من الحج }

أوَّل من حمل ماء زمزم عند رجوعه من حج البيت الحرام رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم تبركاً واستشفاءً. لما ورد في الصَّحيح " **الزمزم لما شُرب له**" وعلى هذا جرت أكابر الصَّحابة والعلماء من حمل زمزم والدُّعاء عند شربه من مواضع الإجابة.

رُوِى عن أبى حنيفة أنَّه شرب للعلم والفقاهة، فكان أفقه أهل زمانه، وفي هذا أخبار مجرَّبة لطيفة حكميَّة.

ذُكر لبعض المحققين ما الحكمة في غسل صدره صلَّى الله عليه وسلَّم ليلة المعراج بماء زمزم فأجيب: إن من خواص زمزم ماؤها يُقَوِّى القلب ويُسكن الرَّوع، وإنها أفضل مياه الجنان، وإنَّها خير ماءٍ على وجه الأرض، لها خواص شريفة وفضائل منيفة، قيل في زمزم من الفتوحات المكيَّة:

وزمزم طعم وشرب لمن	**أراد الطعام وفيه الشفا**
وزمزم ينفي هموم الصَّدر	**وزمزم من كل سقم دواء**
ومن جاء زمزم من جائع	**إذا ما تضلَّع منها اكتفاء**
وزمزم أفضل من كل ماءٍ	**من الجنان والسموات والثراء**
لأنَّ منها غسل المكرمون	**ليلة الإسراء صدر المصطفى**
وإنها آية إيمان لمتضلعٍ	**إذا المنافق من التضلُّع أبا**

{ أوّل ما حدث بعد بناء البيت الحرام }

أوّل ما حدث بعد بناء البيت الحرام رمى الجمار الثلاث، لمَا فرغ إبراهيم [٢١] عليه السَّلام من بنائه قال: يا رب، قد فعلت فأرنا مناسكنا، فبعث الله إليه جبريل.

أخرج السيوطي عن ابن عبَّاس رضى الله عنهما قال: لمَّا أتى إبراهيم خليل الله المناسك عرض له الشَّيطان عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات عند كل جمرة فقال ابن عبَّاس: الشيطان ترجموه، وملة أبيكم إبراهيم تتَّبعون.

وقد ذُكر في التفاسير أن رمى الجمار من جملة الآيات البيِّنات تُرمى ولا تزيد على ممرِّ الزمان بكثرة الرُّماة عصراً فعصراً.

وفي الخبر سُئل عن الجمار كيف لا يكون الحصى مثل الجبال؟ فقال ابن عباس: إن الله وكَّل بها ملكاً، فيما يقبل منه رُفع، وما لم يُتقبّل تُرك.

وفي الخبر المشهور: "**من قُبلت حجَّته رُفعت جمرته**"، وفي بعض الأخبار أنه أي إسماعيل عليه السَّلام قلع إحدى عينيه؛ لأنه كان يمنعه بوسوسة من الذبح وامتثال أمر الله فيما كان من أمر الرؤيا.

أقول: أمَّا وضع المناسك فقديم كانت هي في زمن أبينا آدم عليه السَّلام، أمَّا أسباب الوضع من جهة الأوَّليَّة مختلفة بحسب الأدوار بتعدد الأسباب قرناً بعد قرنٍ، كما ذكر الإمام الأزرقى في تاريخ مكَّة إنما سُمِّى الجمار جماراً؛ لأن آدم عليه السَّلام كان يرى إبليس هناك فيجمر من بين يديه، والإجمار الإسراع، فافهم أسباب أوضاع المناسك.

{ أوّل ما سميت منىً بمنىً }

أوّل ما سُمِّيت المنى بمنا. بما رُوى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: إنما سميت منا منى؛ لأنَّ جبريل عليه السَّلام حين أراد أن يفارق آدم عليه السَّلام علَّمه المناسك، قال له: تمنَّى، قال: أتمنى الجنَّة، فسُميت منا لأمنية آدم عليه السلام.

وقيل: سُمِّيت منا لما يُمنى فيها من الدماء. قال ابن عباس: إن منى يتسع بأهله كما يتسع الرحم للولد، وذاك آية بيِّنة يسع فيها من الخلق ما لا يسع البراري والصحاري.

{ أوَّل ما أهبط آدم من الجنة }

أوَّل ما أهبط آدم من الجنة خرَّ في موضع البيت ساجداً، فمكث أربعين صباحاً لا يرفع رأسه، ولهذا السِّرِّ جعل الله حوالي الكعبة الحرام من كل جانب أربعين يوماً مفاوز.

قال ابن عباس: نزل آدم من الجنة بالحجر الأسود يمسح به دموعه، ولم يرقأ دمعه حين خرج من الجنة حتى يرجع إليها ولم يقرب هواء مائة سنة. من الدُّر المنثور(٧٩)

{ أوَّل ما اجتمع أبونا آدم مع أمِّنا حواء }

أوَّل ما اجتمع أبونا آدم مع أمنا حواء عليهم السَّلام بجمع؛ فسُميت بذلك، وهو المشعر الحرام أي مزدلفة، وأوَّل ما تعارفا بعرفة؛ فسميت بذلك، فبكيا عند عرفة على ما فاتهما مائتي سنة، ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوماً، فجعل الله تعالى لحجَّاج المسلمين من المفاوز والسَّفر حتى تصل إلى عرفة أربعين يوماً، فتاب الله عليهما بعرفة، وهو أوَّل محل استجيب فيه التَّوبة ونزلت الرَّحمة والمغفرة لابن آدم. من الدُّر المنثور(٨٠)

{ موضع هبوط آدم عليه السَّلام }

أوَّل ما أهبط آدم عليه السَّلام بالهند بموضع دحناء، وحوَّى بجدَّة. فجاء في طلبها فكان موضع قدمه قرية، وما بين قدمية مفاوزة حتى قدم فدخل من باب الصَّفا، وطاف بالبيت وصلَّى عنده، وقضى المناسك كلَّها حتَّى أتى جمعاً فازدلفت إليه حوَّاء، فلذلك سمِّيت مزدلفة، واجتمع لجمع فلذلك سمِّي به.

---

(٧٩) الدُّر المنثور ١/١٣٩

(٨٠) لم أقع على هذا النقل.

وفي الخبر: "**لقد حجَّ آدم أربعين حجَّة من الهند، وكانت الملائكة تستقبله بالمأذمين فقالوا: برَّ نسكك يا آدم**".

وفي الخبر النبوى: "**أمر جبريل أن ينزل بياقوتة [٢٢] من الجنة فهبط بها فمسح رأسه فتناثر شعره، فحيث بلغ نورها صار حرماً، فهذا سر الحلق بمنى**"، وفي الخبر: "**إنَّ الشيطان رُجم في مواضع الجمار الثلاث فكان سبب نسكه ذلك**".

وعن ابن عمر رضى الله عنهما: "أهبط آدم بالصفا، وحوَّى بالمروة".
وعن ابن عباس رضى الله عنهما: "أهبط بين مكَّة وطائف". أخرجه السيوطي في الدُّر المنثور

في تفسير قوله تعالى: اهبطوا(٨١)

{ بداية المشاعر والمناسك }

أوّل ما بدت المشاعر والمناسك لإبراهيم عليه السَّلام حين رفع القواعد من البيت جاءه جبريل عليه السَّلام فعلَّمه الطواف والسَّعي بين الصفا والمروة، ثمَّ انطلقا إلى العقبة بمنى فعرض لهما الشيطان فأخذ جبريل سبع حصيات وأعطى إبراهيم وقال: ارمِ وكبِّر، فرميا وكبرا مع كل رمية، ثمَّ انطلقا فظهر لهما ثمَّ رمياه في الثاني والثالث، ثمَّ أتى منى وقال: ههنا يحلق النَّاس رؤوسهم، ثمَّ أتيا مزدلفة فقال: هاهنا يجمع النَّاس صلاتهم، ثمَّ أتى عرفة فقال: عرفت المناسك؟ قال: نعم؛ فسميت بعرفة.

{ فائدة علمية }

أقول: لا شك عند العلماء والمؤرخين من المحقِّقين أنَّ المشاعر المكيَّة والمناسك الشرعيَّة قديمة عند وضع البيت المحرَّم، منها ملكيَّة كما ذكر في الأخبار من حجِّ الملائكة وطوافها بالبيت، ومنها آدمية تشريعيَّة كما سبق ذكره في أخبار آدم عليه السَّلام، ومنها إبراهيميَّة كما ذكرت في التفاسير والأحاديث الشريفة، ومنها محمَّديَّة كالرَّمل في الطَّواف والسَّعى بين الميلين إظهاراً للتجلُّد للمشركين، ولكنَّها

---

(٨١) الدُّر المنثور ١/١٣٥، فتح القدير ١/٧١، تفسير ابن كثير ١/٨١

لها أسباب التَّشريع والظُّهور والتَّنسك بها في كلِّ قرن سالف من قرون أرباب الشَّرائع كقرن آدم ونوح وإبراهيم وسيِّد الرُّسل محمَّد صلوات الله عليهم.

أقول: فمن النَّاس من المؤرِّخين المقلِّدين مجرَّد الأخبار يحسبُ أن السَّعي سببه هاجر ما كان قبله فهو غلط محض. والحقُّ عند المحقِّقين أنَّ المشاعر والمناسك قديمة في جميع الشَّرائع ولكن لظهورها وتشريعها أسبابٌ متعدِّدة بحسب القرون والأعصار كما ورد ذلك في صحاح الأخبار والآثار. فالمناسك وضع إلهي كما أشار سبحانه في كتابه الكريم إنَّ الصَّفا والمروة من شعائر الله كانت قبل أبينا آدم عليه السَّلام وبعده كما ذكر في الكُتب المعتبرة.

{ أوَّل من بنى البيت المحرَّم من البشر }

أوَّل من بنى البيت المحرَّم من البشر على القواعد المكيَّة أبو البشر آدم خليفة الله عليه السَّلام.

أخرج الثعلبي في "عرائس القرآن" عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: "أوحى الله لآدم أن لي حَرَماً بحبال عرشي فانطلق فابن لي بيتاً في الأرض ثمَّ حُفَّ به كما رأيت ملائكتي يحفُّون بعرشي فهناك أستجيب لك ولولدك من كان منهم في طاعتي. فقال آدم عليه السلام: أي ربِ، كيف لي بذلك ولا أقوى عليه، ولست أهتدي إليه؟ فقيَّض الله تعالى له ملكاً فانطلق به نحو مكَّة فكان آدم عليه السَّلام كلَّما مرَّ بروضة ومكانٍ يعجبه قال للملك: انزل بنا هاهنا. فيقول له الملك: مكانك. حتى قدم مكَّة، فكان كل مكان نزل عمراناً، وكل مكانٍ تعدَّاه مفاوز وقفاراً فبنى البيت على القواعد الملكيَّة مع حوَّاء فقيل له: أنت أوَّل النَّاس، وهذا أوَّل بيت وضع للناس، فلمَّا فرغ من بنائه خرج به الملَك إلى عرفات كما خرج مع إبراهيم عليه السَّلام فأراه المناسك كلَّها التي يفعلها النَّاس اليوم، ثمَّ قدم مكَّة وطاف بالبيت، فهو أوَّل طائف من البشر، وأنزل عليه الحجر الأسود، وهو يتلألأ كأنه لؤلؤة بيضاء، فأخذه [٢٣] آدم فضمَّه إليه اشتياقاً منه، ثمَّ أخذ الله من بنى آدم ميثاقهم فجعله في الحجر الأسود، فهو شاهد عدل يوم القيامة للمؤمنين، ثمَّ أنزل على آدم عليه السَّلام العصا، ثمَّ قيل له: يا آدم، تخطَّ. فتخطى فإذا هو بأرض الهند، فمكث هناك ما شاء

الله، ثمَّ اشتاق إلى حضرة البيت فقيل له: الحجُّ يا آدم، فأقبل يتخطى فصار كل موضع قدمه قرية، وما بين ذلك مفاوز حتَّى قدم مكَّة، فلقيته الملائكة عند المازِمَين بقرب عرفة، فقالوا: برَّ حجّك يا آدم، لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام، قال: فما كنتم تقولون حوله؟ فقالوا: "سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر". فزادهم "لا حول ولا قوة إلا بالله"، وزاد إبراهيم بعد البناء حين استقبلوه "العلي العظيم"، فكان آدم إذا طاف بالبيت يقول الكلمات الباقيات الصالحات، فتلك الكلمات أفضل ما يطاف به الطائف من الدَّعوات فكان يطوف باللَّيل سبعة أسابيع فقال آدم ودعا: يا ربِّ، اجعل لهذا البيت عُمَّاراً يعمِّرونه من ذريَّتي، فأوحى الله تعالى إليه أنا مُعمِّره بنبي من ذريَّتكَ اسمه إبراهيم. أتَّخذه خليلاً، أقضي على يديه عمارته، وأبسط له سقايته، وأورثه خلَّة وحُرمة، وأعلِّمهُ مشاعره ومناسكه كما علَّمتُكَ".

ذكره الثَّعلبي في قصص العرائس([82])

{ أوَّل جبل وضع في الأرض }

أوَّل جبل وضع في الأرض "أبو قبيس" كما ورد في الصحيح، وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: "كان العرش على الماء قبل خلق السموات والأرض، فبعث الله ريحاً فصفقت الماء فأبرزت حشفة (أي زبدة) في موضع البيت كالقبَّة فدحى الله سبحانه من تحتها الأرض فمادت ثمَّ مادت فَأوتَدَها بالجبال، فكان أوَّل جبل تكوَّن عليها جبل أبى قبيس، ولذلك سمِّي أمّ القرى، ويُسمَّى الجبل بالجبل الأمين لأنَّ الحجر الأسود كان مُوْدَعاً فيه عند الطوفان، فلمَّا بنى إبراهيم الكعبة أتى جبريل بالحجر الأسود فوضعه في محله الآن".

وفي الخبر: "**قبر آدم وحوَّى وشيت في غار أبى قبيس**"، يقال له: غار الكنز، ثمَّ استخرجه نوح في الطوفان فحمله في المركب ثمَّ ردَّه إلى موضعه. وقيل: وضعه بمنى عند أولاده هناك بمسجد الخيف.

([82]) لم أقع على النقل في الثعلبى، وتوثيقه في الدُّر المنثور ١/١٣٧، ١/٣١٤، ١/٣١٦، ١/٣١٨، ١/٣٢٠، ١/٣٢١/ ١/٣٢٢، تفسير أبى السعود ١/١٥٩، تفسير البغوى ١/١١٥، ١/٣٢٨

وفي الحديث: "**إنَّ بمسجد الخِيف سبعين نبياً تحت القُبَّة**"([٨٣]) قال الشيخ الأكبر في الفتوحات:

وبالجبل الأمين يمين ربي	**قد أودعه به الروح الأمين**
إلى أن جاء إبراهيم يبني	**مكان البيت ناداه الأمين**
لدي وديعة خُبئت زماناً	**مطهَّرة، يقال لها: اليمين**
فخذها يا خليل الله تربح	**فهذا السُّوق والثمن الثمين**
وكبِّر واستلم واسجد وقبِّل	**ليشرف عند سجدتك الجبين**

{ أوّل ما يُرفع }

أوّل ما يرفع الركن الأسود، والقرآن، ورؤيا النبي في المنام، أخرجه السيوطي في أوائله عن عثمان رضى الله عنه.

{ مطلب شريف }

أخرجه أبو الليث في التَّنبيه عن على رضى الله عنه قال: "كنت طائفاً مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم الكعبة فقلتُ: فداك أمِّي وأبى ما هذا البيت؟ فقال: "**يا علي، أسَّس الله تعالى هذا البيت المحرَّم في الدنيا كفارة لذنوب أمتي**"، فقلت: فداك أبى وأمِّي، ما هذا الحجر الأسود؟ قال: **تلك جوهرة كانت في الجنة فأهبطها الله إلى الدنيا، لها شعاع كشعاع الشَّمس، فاشتد سوادها وتغيَّر لونها لمَا مسَّتها أيدي المشركين**".

[٢٤] وفي رواية: "أنَّ الركن والمقام يأتيا إلى يوم القيامة كل واحد منهما مثل جبل أبى قبيس، لهما عينان وشفتان لمن وافاهما". وعن ابن عباس: "الحجر يمين الله في الأرض، فمن لم يدرك بيعة النبي صلَّى الله عليه وسلَّم فمسح الحجر

([٨٣]) لم أقع عليه بنصه، ونصُّه " قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم صلَّى في مسجد الخيف سبعون نبياً، منهم موسى صلَّى الله عليه وسلم، كأني أنظر إليه وعليه عباءتان قطرانيتان وهو محرم على بعير من إبل شنوءة، مخطوم بخطام ليف له ضفيرتان، المعجم الأوسط ٣١٢/٥ ، وغيره ما نصه "صلَّى في هذا المسجد مسجد الخيف يعني مسجد منى سبعون نبياً لباسهم الصوف ونعالهم الخوص" سنن البيهقى الكبرى ٤٢٠/٢

فقد بايع الله ورسوله، وكان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقبِّلُ الحجر ويسجد عليه كما ذكر في الصحيح"(٨٤)

{ أوَّل من ينظر الله إليه }

أوَّل من ينظر الله إليه أهل الحرم عند اطِّلاعه سبحانه كلَّ ليلة إلى أهل الأرض، وأوَّل من ينظر إليه أهل المسجد الحرام، فمن رآه طائفاً غفر له، ومن رآه مصلِّياً غفر له، ومن رآه نائماً مستقبل القبلة غفر له، وإنه لا تغرب الشمس يوماً إلاَّ ويطوف بالبيت رجل من الأبدال(٨٥) ولا تطلع فجر ليلة إلاَّ ويطوف بالبيت رجل من الأوتاد(٨٦) فإذا انقطع ذلك رُفع الحجر الأسود مع المقام إلى الجنة كما ذكر في الحديث.

{أوَّل من أجرى العيون الجارية من الحلِ إلى الحَرم}

أوَّل من أجرى العيون الجارية من الحلِ إلى الحَرم الشريف أمير المؤمنين معاوية رضى الله عنه في خلافته، وكانت جملة العيون التي أجراها عشرة عيون، ثمَّ انقطعت في الدولة العبَّاسيَّة، فأمر هارون الرشيد بإحياء عيون منها فعملت وصرفت كلُها في عين واحدة، ثمَّ غارت وتقطَّعت، فكانت قِربة ماء تُباع بعشرة

---

(٨٤) أحاديثه كثيرة ومشهورة برواية عمر بن الخطاب رضى الله عنه في قوله رضى الله عنه " إنى أعلم أنك حجر ... إلخ"

(٨٥) الأبدال: جمع بدل، وهم طائفة من الأولياء. قال أبو البقاء: كأنهم أرادوا أنهم أبدال الأنبياء وخلفاؤهم، وهم سبعة، لا يزيدون ولا ينقصون، يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة، لكل بلد إقليم فيه ولايته. منهم واحد على قدم الخليل وله الإقليم الأول، والثاني على قدم الكليم، والثالث على قدم هارون. والرابع على قدم إدريس، والخامس على قدم يوسف. والسادس على قدم عيسى، والسابع على قدم آدم على ترتيب الأقاليم، وهم عارفون بما أودع الله في الكواكب السيارة من الأسرار والحركات والمنازل وغيرها، ولهم من الأسماء أسماء وكل واحد بحسب ما يعطيه حقيقة ذلك الاسم الإلهي من الشمول والإحاطة. التعاريف ٢٩/١

(٨٦) الأوتاد: هم أربعة رجال منازلهم على منازل الأربعة الأركان من العالم شرق وغرب وشمال وجنوب. التعريفات ٥٨/١

دراهم، فوفَّق الله تعالى أم جعفر الشهيرة بزبيدة([٨٧]) الزَّوجة الصَّالحة لهارون بنت عمِّه، فأمرت في سنة أربع وتسعين ومائة وعملت بركة شاميَّة بمكَّة الموجودة اليوم، وهى سنة اثنى وألف، فأمرت المهندسين فأجروا عيوناً من الحلِّ إلى برْكَتها، وأنفقت في ذلك من الأموال ممَّا لا يحصى، وساعدتها الوزراء والأمراء في ذلك، فكانت لها مكرمة وسُنَّة حسنة لم يكن لأحدٍ قبلها.ذكره الأزرقي في تاريخه([٨٨]).

أقول: وآخر من أجرى العيون في حرم الله تعالى من الصَّالحات، وجعل بركاً ومجارى للوضوء فعمَّت بركاتها في آخر الزَّمان بعد انقطاع العيون وقلَّة مياه الأبيار حتى بلغت قربة الماء عشرة دراهم، بل أزيد في المواسم، فوفَّق الحق سبحانه بنت سلطان سليمان الغازي، الزوجة الصالحة لصدر الأعظم رُستَم باشا، فأجرت من تلك العيون من طريق عرفات، وصرفت عليها أموالاً خارجة عن الحدِّ والعدِّ، وأمدَّها في ذلك الوالد الأكرم سلطان سليمان الغازي عليه الرحمة والرضوان، فأهل مكَّة يعيشون في فضل خيرها؛ جزاها الله في الدَّارين خيراً، وكفاها بذلك بين بنات الملوك فخراً، فوفَّق الله بعد ذلك بلقيسة الزمان الزَّوجة الصَّالحة الفريدة بين أزواج الملوك والأعيان، إذ هي تفرَّدت بالخيرات العظيمة في الحرمين الشريفين، فمنها زاويتها عند الصَّفا ما لها ثانية، وعمارتها التي تطبخ فيها طعام الفقراء في طريق المعلا، يعيش في فضل خيرها وإطعام طعامها ألف نفس وأزيد، فهذه فضيلة فريدة فاقت بها ملوك العالم، ولها مثلها بالمدينة المنورة، وبالقدس الشريف، فلا شك أنها رضى الله عنها وتغمَّدها برحمته هي مليكة أزواج الملوك كلِّها، وهى أم الخلفاء العثمانيَّة أدامهم الله إلى يوم القرار، وختم بهم هذه الأدوار إلى دولة المهديَّة في آخر الأطوار. آمين، اللهم آمين.

---

(٨٧) هي زبيدة بنت جعفر بن منصور، الهاشمية، العباسية، أم جعفر، زوجة هارون الرشيد وبنت عمه. من فضليات النساء وشهيراتهن، وهي أم الأمين (الخليفة العباسي). اسمها أم العزيز، وغلب عليها لقبها زبيدة، قيل: كان جدها المنصور يرقِّصُها في طفولتها ويقول: يا زبيدة أنت زبيدة! فغلب ذلك على اسمها، وإليها تنسب عين زبيدة في مكة، وتوفيت ببغداد سنة ٢١٦هـ. الأعلام الألف ٣ / ١٢٧. الأعلام ٣/ ٤٢.

(٨٨) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ٢/٢١٧

{ أوَّل من عمل صراً لأهل الحرمين }

أوّل من عمل صُراً لأهل الحرمين من سلاطين آل عثمان سلطان محمد خان بن يلدرم خان، عليهم الرحمة والرضوان، كان يرسله من الرُّوم كل سنة قبل فتوحهم ديار العرب؛ ولذلك سميت بالصرَّة الرُّوميَّة عند أهل الحرمين، ثمَّ زاد كل ملك من السادة العثمانية إلى أن انتهت [٢٥] الدولة الراسخة إلى سلطان الألفي المراديِّ بلَّغه الله في الدارين مراده بما شاء وأراده، وأيَّده بفيض فضله بالفتوحات ظاهراً وباطناً آمين اللهم آمين، فزاد ونشر من الخيرات الجليلة في الحرمين الشريفين، وبنى الحرم الشريف كلَّه بأحسن البناء، وجدَّد المقام الإبراهيميَّ، ما كان أحد جدَّده من أربعمائة سنة، هكذا وجدنا تواريخ الملوك السَّالفة على أركان المقام، فكفاه ذلك بين الملوك فخراً.

{ أوَّل من بنى السبيل بالماء الجاري }

أوَّل من بنى السبيل بالماء الجاري فيه، ظل الله في العالم، سلطان مراد خان، أدام الله دولته. بناه عند باب الصَّفا، وبنى عنده مجاري للمتوضئين، فذلك اختصاص عظيم أعزَّ الله أنصاره، وضاعف اقتداره، وجدَّد بوجوده الجلي رأس الألف والمائة، وأيَّد به دين الأحمديَّة، فنشر الأعلام، وفتح أبواب الجهاد شرقاً وغرباً، أدام الله أيَّام دولته، وأحكام معدلته.. آمين. وقيل في تاريخ سبيله مكتوب على بابه:

أنا سبيل أنار مجدي ... سلطان كل الورى مراد

فاق على الملوك خيراً ... وبعدله قَرَّتْ البلاد

بنى بباب الصفا سبيلاً ... للوفود لورده ارتياد

صار بذلك للحق جاراً ... وجاره الدهر لا يُكاد

له من الله سلسبيل ... وكوثر ماله نفاد

جاء بلا غايةٍ لمجد ... تاريخ بنيانه المُشاد

استسقى بالصفا سبيلاً ... لله سلطاننا مراد

{ أوَّل من بنى القباب حوالي المسجد الحرام }

أوّل من بنى القباب حوالى المسجد الحرام، وكان قبل ذلك مسقفاً، وبنى الحرم الشريف كله بالحجر الشمسي والصَّواني كالعقيق الأحمر وأتمَّه أحسن الإتمام، وفتح باباً عند باب السَّلام، وزاد في أعمدته من الأحجار الشمسيَّة والقواعد الصَّوانيَّة مراد خان بن سليم خان شكر الله سعيه، وبلَّغه مرادات الدُّنيا والآخرة، فذلك اختصاص عظيم بين الملوك الإسلاميَّة وخُدَّام الحرمين، وكفاه بذلك فخراً، وهو أوّل ملك في العالم جمع الله له بين العراقين وأيَّده بالقوَّة القدسيَّة في قتال الطائفة الطاغية الرافضة، فاستمر عشر سنين كاملة على جهادهم وإزالة فسادهم وإلحادهم، واستأصل عروقهم استئصالاً من البلاد العراقية والخراسانية، فلا زال بفضل الله وعونه مؤيداً منصوراً إلى يومنا هذا سنة اثنى وألف من ابتداء دولته المؤيَّدة المراديَّة، لا زالت بعين العناية مشهودة منصورة إلى يوم القرار.

{ أوّل من بنى المقام الإبراهيمي }

أوّل من بنى المقام الإبراهيمي على رأس الألف الأوّل سيدنا عمر الفاروق رضى الله عنه، وأوّل من بناه على رأس الألف الثاني سُلطان صدر الألف الثاني والمائة الأولى منه سلطان مراد خان بلَّغه الله بفيض فضله مرادات الدَّارين آمين، فهذا وِفاق في تعمير المقام على رأس الألف مع سيدنا الفاروق أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه.

{ إشارة حكميَّة مكيَّة }

قيل: كلُّ من عمَّر المقام من الأئمة في عصره وسَّع الله عليه بالفتوحات شرقاً وغرباً، ونشر أعلامه برّاً وبحراً إذ أوّل من رفع الأعلام ونشرها في سبيل الله وقاتل بالسيوف وجهز الجيوش وخمَّسها إبراهيم خليل الله عليه السَّلام كما وسَّع سبحانه على الفاروق الأغير، والكبريت الأحمر رضى الله عنه.

والسِّر في ذلك أنَّ المقام نزل مع الخليفة الأوّل آدم الصفي، وكان كرسي [٢٦] خلافته، وكان أيضاً كرسي الخليل عند بناء البيت، وعند دعوته إلى الحج فاق

الجبال وطال ولان تحت قدمه، ففيه سرُّ التسخير الإلهي، والتوسيع الربّاني لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وعمَّره أيضاً سلطان السَّعيد الشهيد **سليمان خان في** أوائل خلافته([89]) فأيَّده الله بالفتوحات الجليَّة براً وبحراً، ونسأل الله تعالى من فيض فضله أن يؤيد سلطان الوقت الألفي المرادي الذي جدَّد الله بوجوده الجليِّ صدر الألف والمائة، فهو صاحب القرآن العظيم أيَّده الله بفيض فضله آمين باسمك الأعظم، وأسمائك الحسنى، ووجهك الكريم، وسلطانك القديم.

{ أوَّل من عمل الرخام على حوالى زمزم وفرش أرضها بالمرمر}

أوَّل من عمل الرُّخام على حوالي زمزم وفرش أرضها بالمرمر أبو جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسية.

أوائل السُّيوطيِّ([90])

{أوَّل من ركب عند رمي الجمار}

أوَّل من ركب عند رمي الجمار ذاهباً وراجعاً معاوية، وكانوا قبل ذلك يمشون رجالاً رضي الله عنه وعفى.

أوائل السُّيوطيِّ([91])

([89]) تولى السلطان سليمان القانونى عرش الدولة العثمانية بعد موت والده السلطان سليم الأوَّل عام ٩٢٦هـ وحكم الدولة العثمانية مدة ست وأربعين سنة، وهى أطول مدة حكم فيها سلطان عثمانى. كان عهد القانونى قمة العهود العثمانية سواء في الحركة الجهادية أم في الناحية المعمارية أو العلمية أو الأدبية أو العسكرية ، وكان هذا السلطان يؤثر في السياسة الأوربية تأثيرًا عظيمًا؛ حيث كانت الدولة العثمانية هى القوة العظمى دوليا في زمنه، ونعمت بالرخاء والطمأنينة. وفي صفر ٩٧٤هـ اشتد المرض بالسلطان سليمان وهو يحاصر مدينة سيكتوار المجرية ، ثمَّ تُوفي في ٢٠ من صفر سنة ٩٧٤هـ بعد أن قضى في الحكم ٤٦ عامًا قضاها في توسيع دولته وإعلاء شأنها، حتى بلغت في أيامه أعلى درجات القوة والكمال، وفي وضع النظم الداخلية للدولة حتى اشتهر بلقب القانونى.

([90]) أوائل السُّيوطيِّ ص٦٣

([91]) أوائل السُّيوطيِّ ص٥٨

{ أوّل من خلع الخفّ والنعل لدخول الكعبة }

أوّل من خلع الخف والنعل لدخول الكعبة إعظاماً لها الوليد بن المغيرة ([٩٢]) فجرى ذلك سُنّةً.

أوائل السُّيوطيِّ([٩٣])

{ أوّل من كسى الكعبة }

أوّل من كسى الكعبة تُبَّع ملك اليمن([٩٤]) ثمَّ كسى الأنطاع (أي العرب) في الجاهلية إلى أن كساها رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالثِّياب اليمانية، ثمَّ كساه عمر وعثمان رضى الله عنهم القباطيَّ، ثمَّ ابن الزُّبير في خلافته، ثمَّ عبد الملك، كان يبعث كل سنة بالدِّيباج، ثمَّ كستها ملوك العباسيَّة، ثمَّ الفاطميَّة، ثمَّ التُّركيَّة المصريَّة، ثمَّ وثمَّ إلى أن انتهت السَّلطنة الكبرى والخدمة الحرميَّة العظمى إلى الملك الأعظم الغازي عاشر المجدِّدين لدين الإسلام بأحسن المعاشر وعاشر السلاطين العثمانيَّة كالعقد العاشر على أجياد وأصحاب المفاخر، وهو الختم الفاخر الملك السعيد الشهيد سلطان سليمان بن سليم عليه وعلى أجداده الرحمة والرضوان أنه قد عيَّن القرى الجليلة بديار المصرية يصرف حاصلها لكسوة البيت الحرام، وأرسل وقفيَّة شرعيَّة فوضِعت في البيت إجلالاً وتبركاً [قال المصنف:] طالعتُهُ وأخذتُ نسخة منها، وكفاه بذلك بين الملوك فخراً جزاه الله في الدارين أجراً.

([٩٢]) من زعماء قريش، ومن سادات العرب في الجاهلية. حرم الخمر قبل الإسلام. أدرك الإسلام هرماً ولم يسلم، وحرض الناس ضد النبى صلَّى الله عليه وسلَّم هو والد خالد بن الوليد.

([٩٣]) أوائل السُّيوطيِّ ص٥٨

([٩٤]) حسان بن أسعد بن أبى كرب، من ملوك الدولة الحميرية باليمن عاش من القرن العاشر قبل الهجرة جعل مدينتي مأرب و ظفار عاصمتين له، وقيل: إنه أوَّل من كسا الكعبة.

{ أوّل من نذر كسوة الكعبة }

أوّل من نذر كسوة الكعبة والدة [الـ]عباس بن عبد المطلب حين أضلّت العباس صغيراً، فنذرت: إن وجدته تكس الكعبة، فوجدته ففعلت أى كست الكعبة.

أوائل السُّيوطيِّ([95])

{ أوّل من كسى الكعبة بياضاً }

أوّل من كسى الكعبة بياضاً المأمون العباسي ثمَّ كساه الناصر العباسي([96]) أخضر، ثمَّ كساها أسوداً؛ لكون السواد من شعار العباسيَّة، فاستمر ذلك إلى الآن، وهو رأس الألف الحتمي زادها الله تعالى شرفاً وتعظيماً إلى آخر الدهر، وكان قد جمع على الكعبة سبعون كسوة، فشكت الحَجَبة من ثِقلها خوفاً من النقض؛ فخُفف عنها.

ذكره السُّيوطيِّ في تاريخ الخلفاء ([97])

{ أوّل من أجرى الزيت لقناديل المسجد }

أوّل من أجرى الزيت لقناديل المسجد من بيت المال وطيَّب الكعبة بالخلوق([98]) والمجمر([99]) معاوية رضى الله عنه. أوائل السُّيوطيِّ([100]).

([95]) أوائل السُّيوطيِّ ص٥٩

([96]) هو أحمد بن الحسن المستضيء بالله بن يوسف المستنجد، العباسي، الملقب بالناصر لدين الله . الخليفة الرابع والثلاثين من خُلفاء الدولة العباسية. ولد سنة ٥٥٣هـ، وبويع بالخلافة بعد موت أبيه سنة ٥٧٥هـ، وطالت أيامه حتى إنه لم يَلِ الخلافة من بنى العباس أطول مدة منه. ظهر الرفض بسبب – وزيره – ابن الصاحب ثمَّ انطفأ بهلاكه، وظهر التسنن. سير النبلاء ٢٢/ ١٩٢: ٢٤٢ ، الأعلام ١/ ١١٠.

([97]) انظر تاريخ الخلفاء ٢٣٩/١

([98]) ضرب من الطيب. مختار الصحاح ٧٨/١

([99]) المكان الذى يوضع فيه الجمر. لسان العرب ١١٤/٤

{ أوّل من جرّد الكعبة وكشفها }

أوّل من جرّد الكعبة وكشفها وطرح عنها كسوة الجاهلية وكانت قبل لا ترد بل يجفف بعض كسوتها معاوية رضى الله عنه

أوائل السُّيوطيّ(١٠١).

{ أوّل من كسى الكعبة بكسوتين }

أوّل من كسى الكعبة بكسوتين يعلى بن مُنبِّه(١٠٢) عامل عثمان رضى الله عنه على اليمن ففعل ذلك بأمره رضى الله عنه.

أوائل السُّيوطيّ(١٠٣).

[٢٧] { أوّل من أسرج وأنفط ليالى الحج }

أوّل من أسرج وأنفط ليالى الحج بين المازمين بطريق عرفة [الـ]خليفة المعتصم بالله في سنة تسع عشر ومائتين، فجرى ذلك سُنَّةً إلى اليوم، وكانوا يضعون المصابيح للمعتمرين مخافة السُّراق، وقد ذكر أصحاب التواريخ أنه كان في دولة العباسية خمسون منائر عالية لإعلام الآذان لإسماع أهل الشِّعاب والجبال حوالي مكّة وللإيقاد في زمن الحج.

---

(١٠٠) أوائل السُّيوطيّ ص٥٧

(١٠١) أوائل السُّيوطيّ ص٦٠

(١٠٢) يعلى بن أميَّة بن أبى عبيدة التميمي الحنظلي، من الولاة. أوّل من أرّخ الكتب، استعمله أبو بكر على (حلوان) في الردة وعمر على(نجران) وعثمان على (اليمن) شهد الجمل مع عائشة. ثمَّ صار من أصحاب علي وقتل في صفين. وله (٢٨) حديثاً. توفي عام ٣٧هـ= ٦٥٧م.

(١٠٣) أوائل السُّيوطيّ ص٦٠

واليوم ما بقي منها رسمٌ [و]لا يسمع أهل الشِّعاب - حوالي البلد الأمين - الآذان؛ لارتفاع بيوت البلد، وسمعت من بعض الأعيان من المشايخ الصَّالحين بمكَّة المكرَّمة أنَّ أشد الخيرات احتياجاً إليها وأعمَّها نفعاً لكافة المسلمين في البلد الأمين وحواليه إلى بعض المنائر على الجبال المشرفة على مكَّة كجبل جياد، ومروة، وجبل ابن عمر، وجبل قعيقعان المسمى بجبل ابن شيبة؛ لإسماع الآذان لمن في الشعاب.. يا منازل، لك في القلوب منازل.

من تاريخ مكَّة[104].

{ أوَّل من أوقد النار بمزدلفة }

أوَّل من أوقد النار بمزدلفة قريش، كانت توقد على جبل قزح، ولا تخرج من الحرم إلى عرفة وتقول: نحن أهل الله وخاصته، وبذلك كان يسمى أهل مكَّة جاهلية وإسلاماً، وقد أوقد قصي بن كلاب[105] ناراً بمزدلفة حيث وقف بها حتَّى يراها من دُفِع من عرفة، وهو الأصح كما أخرجه الأزرقي في تاريخ مكَّة المشرفة، وكانت تُوقد على عهد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

وفي الخبر أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قد دفع من عرفة إلى جمع والنَّار توقد بمزدلفة حتى نزل قريباً منها.

---

(١٠٤) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ٢٢٧/١

(١٠٥) هو الجد الرابع للنبي محمد صلَّى الله عليه وسلَّم، عاش في القرن الخامس الميلادي، جمع كلمة قريش ودخل مكَّة بعد أن تغلب على قبيلة خزاعة، أسس في المدينة شبه جمهورية، أسس - دار الندوة - فكانت مجمع قريش ليتشاورون في شؤونهم ، فكانت له مظاهر الرئاسة بكل معانيها ، فلا تعقد راية الحرب إلاَّ بيده، له حجابة الكعبة وهو المسئول عن السقاية والرفادة.

{أوّل من استلم الركن الأسود من الأئمة }

أوّل من استلم الركن الأسود من الأئمة قبل الصلاة وبعدها عبد الله بن الزبير رضى الله عنه زمان خلافته فاستلمته بعد ذلك الولاة فصار ذلك من سُنن الخلفاء الراشدين.

أوائل السُيوطيّ([١٠٦])

{أوّل من فرَّق بين الرجال والنساء في المطاف}

أوّل من فرَّق بين الرِّجال والنِّساء في المطاف، وكانوا يطوفون مختلطين خالد بن عبد الله القسري([١٠٧]) حين وُلِّىَ مكَّة في زمن عبد الملك، وأجلس عند كُلِّ ركن حرساً، معهم السياط يفرقون بين الرِّجال والنِّساء، فاستمر ذلك إلى اليوم، وسبب ذلك حين بلغ خالداً قول الشَّاعر لمعشوقة له:

يا حبَّذا الموسم من مُوفِد ... وحبَّذا الكعبة من مشهدِ

وحبَّذا اللاتى تُزاحمُنا ... عند استلام الحجر الأسود

فقال خالد: أما إنهن لا يزاحمنك بعد هذا، فأمر بالتفريق بين الرجال والنساء في المطاف.

أوائل السُيوطيّ([١٠٨]).

([١٠٦]) أوائل السُيوطيّ ص٦٢

([١٠٧]) **خالد بن عبد الله بن يزيد القسرى البجلى أبو الهيثم، والٍ من الولاة في العصر الأموي، من أصل يماني، اشتهر بالقصاصة والجود، وولاه عبد الله بن مروان على البصرة، وولاه الوليد على مكة، وأقامه هشام بن عبد الملك أميراً على العراق كله، وخراسان والهند فكان له نواب يقومون مقامه في هذه الأنحاء الشاسعة، ودامت إمارته ١٥سنة، وخلفه يوسف بن عمر الثقفي، فأمر بمحاسبة خالد وعماله، وعذبه حتى توفي عام ١٢٥هـ .**

([١٠٨]) أوائل السُيوطيّ ص٦٢

{أوّل من نقل أساطين الرُخام وسقف البيت بالسَّاج}

أوّل من نقل أساطين الرُخام وسقفه السَّاج المزخرف وزخرف في بناء الحرم وعمل للمسجد شرافاً الوليد بن عبد الملك، وكان زمانه أعلام العلماء، لا ينكرون ذلك.

ذكره السُيوطيُّ في أوائله(١٠٩).

{أوّل من عمل مظلَّة للمؤذنين}

أوّل من عمل مظلَّة للمؤذنين التي على سطح المسجد يؤذن فيه يوم الجمعة والإمام على المنبر. هارون الرشيد في خلافته، وكانوا يجلسون في الشمس صيفاً وشتاءً، والآمر يومئذٍ على مكَّة عبد الله بن محمد بن عمر رضى الله عنه(١١٠).

أوائل السُيوطيِّ(١١١).

{ أوّل من حفر بئراً بمكَّة }

أوّل من حفر بئراً بمكَّة خليفة الله آدم عليه السَّلام حين أهبط، تسمى كر آدم في شعب حوًى بالمعجر، ثمَّ نزل عليه العصا فقيل له: تخطى يا آدم، فتخطي، فإذا هو بأرض الهند، فمكث بذلك ما شاء الله، ثمَّ استوحش إلى الركن والمقام، وكانا نزلا معه بمكَّة [٢٨] مع خيمة من الجنة، كانت نُصبت على البيت المحرَّم تضيء مع الركنين إلى انتهاء الحرم، فقيل له: احجج، فلقيته الملائكة فقالوا له: برَّ حجَّك يا آدم، لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام.

أخرجه السُيوطيُّ في "الدر المنثور"(١١٢)

---

(١٠٩) أوائل السُيوطيِّ ص٦٤

(١١٠) عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب الهاشمي، روى عن أبيه، عن على، روى عنه ابن المبارك وأهل المدينة، كنيته أبو محمد، أمه صفية بنت على بن الحسين، مات بالمدينة. الثقات ٢/٧

(١١١) أوائل السُيوطيِّ ص٦٤

(١١٢) انظر الدر المنثور ٣١٤/١

{ أوَّل من حفر بئراً بمكَّة بعد آدم }

أوَّل من حفر بئراً بمكَّة قصيٌّ بن كلاب بعد آدم عليه السَّلام، وقيل: هـو أوَّل من نزل بمكة. [هذا] عند عبد الله بن عباس رضى الله عنهما. وقيل: أوَّل من نزل مضر بن خزيمة(١١٣)

كذا ذكر في الأوائل وتاريخ الأزرقي(١١٤).

{أوَّل من خطب بمكَّة على منبر}

أوَّل من خطب بمكَّة على منبر معاوية حين قدم من الشَّام، وبنى منبـراً على ثلاث درج، وكان الخلفاء وولاتهم قبل كانوا يخطبون يوم الجمعة على أرجلهم قياماً في وجه الكعبة وفي الحجر الشريف الذي من البيت.

أوائل السُّيوطيِّ(١١٥).

{أوَّل من بنى جدار الكعبة }

أوَّل من بنى جدار الكعبة عامر بن عمرو الأزدي(١١٦).

أوائل السُّيوطيِّ(١١٧)

{ أوَّل من زار البيت الحرام من البحر }

أوَّل من زار البيت الحرام من البحر نوح عليه السَّلام لمَّا صـنع الفُلـك طاف بها بمن معه في الفلك مُلبياً محرماً سيَّاحاً.

---

(١١٣) لم أقع عليه.

(١١٤) أوائل السُّيوطيِّ ص٦٥ نقلاً عن الأزرقي ص٤٣٩

(١١٥) أوائل السُّيوطيِّ ص٦٤

(١١٦) عامر بن عمرو بن خزيمة بن جعثمة، تزوج بنت الحارث بن مضاض الجرهمي، وكانت جرهم إذ ذاك ولاة البيت فبنى للكعبة جداراً فسمى عامر بذلك الجادر.

(١١٧) أوائل السُّيوطيِّ ص٦٦

أوائل السُيوطيّ([118])

{ أوّل من لاذ بالحرم من أهل البحر }

أوّل من لاذ بالحرم من أهل البحر الحيتان الصّغار من الكبار زمن الطُّوفان؛ فلم تأكلها احتراماً للحرم.

من مناسك البحر العميق

{أوّل من وُلد بمكّة من العرب النازلين}

أوّل من ولد بمكّة من العرب النازلين كعب بن لؤي([119]) فأصاب مُلكاً أطاع له به قومه، وكان شريف قومه من أهل مكّة وأميره، لا ينازع فيهما، فابتنى دار النّدوة وجعل بابها إلى البيت ففيها كان أمر قريش كلُّه، ما أرادوا من نكاح أو حرب أو مشورة فيما ينوبهم تشريفاً له، وتيمناً برأيه ومعرفةً بفضله، يتبعون أمره كالدِّين المتَّبع، وكانت إليه الحجابة والسّقاية واللواء والندوة، وحكم مكّة كلها.

أوائل السُيوطيّ([120]).

{ أوّل من بنى بمكّة باباً }

أوّل من بنى بمكّة باباً عبد الرحمن بن سُهيل، أتى عمر رضى الله عنه، فقال: إنَّ الرجل ينزل علينا معه خادم فيترك رحله وناقته ثمَّ يخرج، وأنت تضمننا. وإنّا نخاف اللُّصوص فأذن له فتكلفت قريش فجعلوا الأبواب تفتح وتغلق.

من أوائل السُيوطيّ([121]).

([118]) أوائل السُيوطيّ ص٦٩

([119]) الجد السابع للنبي صلّى الله عليه وسلم، خطيب عظيم القدر، أرخت العرب بوفاته إلى عام الفيل. وهو الذي سن الاجتماع يوم الجمعة، وكان يسمى يوم العروبة. توفي عام ١٧٣هـ، ٤٥٤م.

([120]) أوائل السُيوطيّ ص٦٦

([121]) أوائل السُيوطيّ ص٦٦

{ أوَّل من بنى بالأبطح سقاية للحاج }

أوَّل من بنى بالأبطح سقاية للحاج قصي قبل أن يحفر عبد المطلب بئر زمزم.

أوائل السُّيوطيِّ([١٢٢]).

{ أوَّل أمير نصب وأرسل على الحج }

أوَّل أمير نصب وأرسل على الحج وحجَّ بالناس سنة تسع من الهجرة الأحمديَّة أبو بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه، وهو أوَّل خليفة وأمير في الإسلام، وأوَّل من عهد بالخلافة، وأوَّل مهاجر وسابق، وأوَّل من حجَّ حجَّة الفرض في الإسلام، ثمَّ حجَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم في السنة المقبلة، فلمَّا قبض في تلك الحجَّة سُميت بحجِّ الوداع، فاستخلف أبو بكر عمر بن الخطاب على الحجِّ بعد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وله رضى الله عنه من أوائل الفضائل ما ليس لغيره.

ذكره السُّيوطيُّ في "تاريخ الخلفاء"([١٢٣]).

{ أوَّل من اتخذ المحامل }

أوَّل من اتخذ المحامل الحَجَّاج، وكانوا يحجون على الرِّحال قبل زمنه فقال بعض الشعراء:

أوَّل عبدٍ عمل المحاملا ... جزاه الله عاجلاً وآجلاً.

أوائل السُّيوطيِّ([١٢٤]).

{ أوَّل من خيطت وسترت له الرَّواحل في طريق الحج }

أوَّل من خيطت وسُترت له الرَّواحل في طريق الحجِّ عثمان بن عفَّان رضى الله عنه. أقول: ويمكن الوجه في أوليَّة المحمل المقدَّم اليوم أن يقلِّد أمير المؤمنين عثمان في ذلك لتفريد المحمل قدَّام ركب الحاج. أوائل السُّيوطيِّ([١٢٥]).

([١٢٢]) أوائل السُّيوطيِّ ص٦٧

([١٢٣]) تاريخ الخلفاء ٧٢/١

([١٢٤]) أوائل السُّيوطيِّ ص٦٧ وفيها: "أخزاه ربي عاجلاً وآجلاً".

{ أوّل ما اختلف أصحاب رسول الله }

أوّل ما اختلف أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حين أهلَّ عثمان بحجة وعليٌّ بعمرة.

أوائل السُّيوطيِّ[١٢٦].

[٢٩]{ أوّل محملٍ قُدِّمَ قدّام العسكر }

أوّل محمل قُدِّم قدّام العسكر وركب الحاج محمل الصدِّيقة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها، فاقتدي بعد ذلك وركب الحاج وأميره بتقديم محمل شريف باسم النبى صلّى الله عليه وسلم؛ لأنَّها كانت حبيبته وحرمته تبركاً بمحملها واحتراماً لها حين خرجت لإصلاح المؤمنين يوم الجمل، وكان محملها يقدَّم في ركب الحاج من المدينة، وهو أوّل وجهٍ في تقديم محمل شريف في سفر الحاج كما ذكر في السِّير.

{ أوّل من حلق في حجة الوداع }

أوّل من حلق في حجَّة الوداع وأُخِذَ من شعره رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لمَّا حجَّ، فأُخِذ من شعره المبارك، ثمَّ قام النَّاس فأخذوا. منهم من حلق ومنهم من قصَّر.

أوائل السُّيوطيِّ[١٢٧]

{ أوّل من قصَّر من شعر رسول الله }

أوّل من قصر من شعر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو متنسِّك. قال ابن عبَّاس رضى الله عنهما قال لى معاوية: "إنِّي قصَّرت من رأس رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عند المروة بمشقصٍ" فكان معاوية أوّل من قصَّ من شعره

---

(١٢٥) أوائل السُّيوطيِّ ص٦٨

(١٢٦) أوائل السُّيوطيِّ ص٦٩

(١٢٧) أوائل السُّيوطيِّ ص٦٩

الشريف. ومعمر بن عبد الله[١٢٨] أوّل من حلق رأسه الشريف صلَّى الله عليه وسلَّم، حكاه صاحب شارح المصابيح في المظهر، فأخذ الحلاّق شعره فقسَّمهُ أبو طلحة[١٢٩] بأمر رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، دعا بالحلاق وناول شقه الأيمن فحلقه فقال لأبى طلحة: اقسمه بين النَّاس حكمة.

قال أهل الحديث: إنَّما الشَّعر قَسْمُ الشَّريف في أصحابه ليكون معجزةً باقيةً وبركةً دائمةً في أمَّته، حيث يوجد شعره الشريف؛ لأنَّه كان لم تحرقه النَّار إذا ألقى فيها. وقيل: قد كان شعرة من شعره الشريف في قلنسوة خالد بن الوليد رضى الله عنه إذا كان على رأسه في مغْفَرِه كان لا يغلب ببركته في المعارك والمحاربة.

قيل: إنما خَصَّ أبا طلحة بالقسمة لأنه حفر قبره الشريف ولَحَّدَ له فيه، وبنى اللبن حوله كذا ذكره صاحب المظهر.

---

(١٢٨) معمر بن عبد الله بن نضلة بن نافع بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي القرشي العدوي، أسلم قديماً، وهاجر الهجرتين، وروى عن النبي وعن عمر، روى عنه سعيد بن المسيب وبشر بن سعيد وعبد الرحمن بن جبير وعبد الرحمن بن عقبة مولاه .. كان قديم الإسلام، ولكنه هاجر إلى الحبشة، ثمَّ رجع إلى مكَّة فأقام بها ثمَّ قدم المدينة بعد ذلك. الإصابة ١٨٨/٦

(١٢٩) هو زيد بن سهل بن الأسود، النَجَّارِيّ، الأنصاري، المشهور بأبي طلحة الأنصاري. صحابي، من الشجعان الرُماة المعدودين، كان فارساً في الجاهلية، غازياً في الإسلام. ولد أبو طلحة في المدينة سنة ٣٦ قبل الهجرة، ولما ظهر الإسلام كان من كبار أنصاره، فشهد العقبة وكان أحد النقباء الإثنا عشر يومئذ، كما شهد بدراً وأحداً والخندق وسائر المشاهد. وأبو طلحة الأنصاري هو الذي حفر قبر النبي صلَّى الله عليه وسلَّم ولحده حين موته، روى أبو طلحة عن النبي صلَّى الله عليه وسلَّم نحو نَيِّف وعشرين حديثاً. وقد توفي أبو طلحة في المدينة سنة ٣٤ هـ، وصلَّى عليه عثمان بن عفان ، وقيل: ركب البحر غازياً الروم فمات في السفينة. الطبقات الكبرى ٣/ ٥٠٤: ٥٠٧

{ أوّل ما يرفع من آثار الجنة }

أوّل ما يُرفع من آثار الجنة من وجه الأرض: الركن والمقام؛ لأنهما خرجا من الجنة.

ذكره الأزرقي في تاريخه([١٣٠]).

{ أوّل من أرسل المراكب من البحر لإمداد أهل الحرم }

أوّل من أرسل المراكب من البحر لإمداد أهل الحرم بالزُّوَّاد وأنواع الحبوب فرعون مصر الذى يقال له فرعون إبراهيم. الذي وهب هاجر لسارة حين تعدَّي عليها فصانها الحقُّ معجزة لإبراهيم عليه السَّلام وكرامة لسارة حين يبست يده.

قال بعض المؤرِّخين: أنَّه آمن بإبراهيم عليه السَّلام لمَّا سمع بهاجر وابنه إسماعيل وبنائهما البيت المحرَّم ونزول العرب عليه، فأجرى خليجاً من النيل إلى بحر السّويس عند مدينة قلزم، فكان يحمل منه الزُّوَّاد إلى الحرم تعظيماً لبيت إبراهيم عليه السَّلام وأهله، ثمَّ عُطِّل ذلك الخليج الفرعوني بُرهةً من الزمان حتى انتهى العصر إلى الفتح الإسلامي العمري، فأُمِر لعمرو بن العاص أن يحفر ذلك الخليج ويكشفه ويجريه كما كان قديماً، فأجراه في ستة أشهر بالهمَّة العمريَّة، والخدمة الصحابيَّة رضي الله عنهم إلى أن عطله بعض ملوك الفاطميَّة.

ذكره السُّيوطيُّ في "محاضرة مصر والقاهرة".

يقول أفقرُ الورى وفق الله ملكاً من سادات الملوك العثمانيَّة القادة السادة لإحياء ذلك الخير الأجلِّ الأعظم الأشمل عديم المثل في الكون، فمن الله الإمداد والعون، والله الولي الفتَّاح المعين.

{ أوّل من جدد بناء الكعبة بعد إبراهيم }

أوّل من جدَّد بناء الكعبة بعد إبراهيم عليه السَّلام قصي بن كلاب وسقفها بالخشب الرُّومي وجريد النخل ولم يكن بناء إبراهيم عليه السَّلام مسقفاً [٣٠] ولا

([١٣٠]) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ٢/٢٤٧

بناه بمدرٍ، وإنما رصَّه رصاً، فأوَّل من سقف البيت قصي، وكان قد بُنى بعد الخليل وقبل قصي مرتين، الأولى: بناء جُرْهُم، والثاني: بناء [الــ]عمالقة، وكان قد بُنــى قبل إبراهيم ثلاث مرَّات على اختلاف الروايات: بناء الملائكة، وبنــاء آدم عليــه السَّلام، وبناء أولاده إلى وقت الطُّوفان.

فأوَّل من بناه بعد الطُّوفان إبراهيم عليه السَّلام، ثمَّ جُرْهُم، ثمَّ [الــ]عمالقة، ثمَّ بناء قصي جدِّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، ثمَّ بناء قريش ورسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم حاضر ابن خمس وعشرين سنة، وكان باب البيت مُلاصقاً بالأرض في عهد الخليل عليه السَّلام، وعهد جُرْهُم و[الــ]عمالقة إلى أن بنته قريش فرفعت بابه وجعلت سقفاً فتنافست القبائل من العرب فيمن يضع الحجر الأسود موضعه من الرُّكن، فاتَّفقُوا بأن يضعه أوَّل من يشرف من باب السَّلام، فطلع رسول الله صــلَّى الله عليه وسلَّم فقالوا: هذا محمَّد الأمين فرضوا بأن يضعه فأمر القبائــل بوضــع الحجر المكرَّم في ربطة فأخذ كل جانب منها فاصطلحوا فأخذه صلَّى الله عليه وسلَّم فوضعه محلَّه المعهود ثمَّ بنى البيت بعد قريش عبد الله بن الزُّبير، ثمَّ الحَجَّاج بنــى جانب الميزاب، وكان الزُّبير قد ألحق الحِجْرَ بالبيت على وضع الإبراهيمي المكعَّب فذاك العاشر أي بناء [الــ]حَجَّاج، والأظهر الأصحُّ عند أهل التحقيق أنَّهــا بنيــت سبعاً، وعُمِّرت بالتَّرميم ثلاثاً كما قاله الإمام النوويُّ في مناسكه.

{أوَّل من بنى الجدار للمسجد الحرام}

أوَّل من بنى الجدار للبيت الحرام عمر رضى الله عنه دون القامة، فكانت المصابيح توضع عليه، فلمَّا استخلف عثمان رضى الله عنه ابتــاع منــازل حــول المسجد الحرام ووسَّعه وبناه مع الأروقة، وهو أوَّل من اتَّخذها في المسجد، ثــمَّ إنَّ ابن الزُّبير في خلافته وسَّعه واشترى دُوراً حوله، ثمَّ عمَّره عبد الملك ولم يزد فيه. لكن رفع جداره وسقَّفه بالسَّاج، وعمَّره عمارةً حسنةً، ثمَّ إنَّ الوليد ابنه وسَّعه وحمل إليه من البحر أعمدة الرُّخام من مصر، ثمَّ إن المنصور العبَّاسي زاد في المســجد وبناه وجعل فيه عمد الرُّخام. ثمَّ زاد المهدي ابنه وجعل البيت في وسط المســجد، وكان قبل في جانب المسجد، واجتهد في بنائه مع المهندسين. جاء بهم من العــراق

سنة سبع وستين ومائة، وفيها توفي المهدي وأبــوه المنصــور، وكانــت الخلفــاء العباسيَّة يحجُّون ويتعاهدون خدمة الحرمين، ويبنون المنائر في شعاب مكَّة حوالي البلد للتأذين ليسمع أهل الجبال والشعاب الآذان، واليوم ما بقى منها رسم ولا أثــر. لا يسمع الآذان في أكثر البلد، فكيف حواليه بانهدام المنائر والمآثر والمعالم فسبحان الحيُّ القيُّوم الدائم الباقي، ثمَّ جدَّد بعض مواضع الحرم مُلوك مصر من الفاطميَّــة والصَّالحيَّة والتُّركيَّة عصراً بعد عصر، حتَّى انتهى الملك الرَّاسخ والأمر الشَّــامخ والسَّلطنة الكُبرى إلى ظهور الدَّولة العثمانيَّة أعلاها الله وأدامها وختم بها أعصـــار الدُّول إلى يوم القرار، فشرع في تجديد الحرم الشريف الملك الصالح الحليم سلطان سليم بن سليمان فاتح جزيرة قُبرس عليهم الرحمة والرُّضوان. ومات رحمه الله قبل إتمامه كالمهدي العبَّاسي. فأتمَّه بعده فاتح بلاد العراق وقامع عُروق الرفض والنِّفاق فريد الزَّمان صاحب القران، مظهر العرفان، سلطان صدر الألــف ورأس المائــة أعلى الله أعلام فتوحاته شرقاً وغرباً ونشر أحكام معدلته بعد [٣١] أقرباً أعنى مراد خان بن سليم بلَّغه الله مرادات الدَّارين بعين عنايته وأفاض عليه من فيض نصرته ومعرفته.

{أوَّل من علَّق جواهر ثمينة في الكعبة }

أوَّل من علَّق في الإسلام في الكعبة المعظمة جواهر الثمينة أمير المؤمنين عمر بن الخطَّاب رضى الله عنه لمَّا فتح مدائن كسري وبلاد قيصر، كان ممَّا بعث إليه هلالان مجوهران بعث بهما فعلَّقهُمَا في الكعبة وبعث على السَّــفَّاح بالصَّــفحة الخضراء فعُلِّقت في الكعبة، وبعث المأمون العبَّاسي بالياقوتة فعُلِّقت بسلسلة الذهب فكانت الملوك والأمراء قديماً وحديثاً تبعث الجواهر والقناديل والسُّــيوف الذهبيَّــة وغير ذلك من النَّفائس الجليلة من أنواع الجواهر، وكانت الملوك الساسانيَّة يحجُّون ويُعلِّقون الجواهر والقناديل، وآخر من حجَّ منهم أردشير بن بابك.

أقول: وآخر من بعث من الملوك الإسلاميَّة قناديل الذَّهب وعلَّقها ســلطان الألفي الخاتمي العثماني مراد خان أعلى الله أعلام دولته، وأيَّده بفتوحاته ونصــرته باطناً وظاهراً، بعث قنديلين عظيمين بعد إتمام الحرم الشَّريف فعُلِّقــا فــي البيــت

الحرام، فهو أوّل من علّق قناديل الذهب في الحرمين الشريفين على رأس الألف والمائة صيّر الله ملكهم ودولتهم خاتماً كاملاً إلى انتهاء البيعة المهديَّة في آخر الزّمان قد بشّر الدّولة الراسخة العثمانيَّة الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر قدّس الله سرّه في بعض إشارات جفريّاته بامتداد دولتهم واتصالها إلى البيعة المهديَّة.

سمعتُهُ مرَّة من إسنادي الكامل مصلح الدين بن نور الدين نوَّر الله مرقده وأفاضنا من علومه ومدده نقله من الجفر الجامع العلوي الجعفري العربي فأشرتُ إلى ذلك في الدعوة التي كتبتُها في رأس العمود خلف المقام الإبراهيمي تبرُّكاً بذلك واستمداداً في ذلك من الحضرة المكيَّة وهي: "اللهم أقِم وأدِم باسمك الأعظم وأسمائك الحسنى ووجهك الكريم وسلطانك القديم الدَّولة العثمانية فاجعلها خاتم الدَّولة الإسلاميَّة الأحمديَّة إلى أن تقع البيعة الخاتميَّة لخاتم الخلفاء المحمديَّة محمد المهدي ختم الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين يُبَايَعُ بين الحجر والمقام اللهم انصرها بالنَّصر العزيز والفتح القريب وانشر أعلامها برَّاً وبحراً شرقاً وغرباً باطناً وظاهراً أولاً وآخراً بحرمة الحبيب والخليل. اللهم أيِّدهم بقوَّتهم القدسيَّة صلاة الله عليهم وآلهم أجمعين آمين اللهم آمين.

[٧]{ المشهد السابع }

{ في أوائل الإبراهيميَّة الاختصاصيَّة وخصائصها الجليلة}

{ أوّل من رفع الأعلام في سبيل الله من الرُّسل }

أوّل من رفع الأعلام في سبيل الله من الرُّسل الكرام إبراهيم خليل الرحمن صلاة الله عليه وسلامه، وهو أوّل من عبَّأ الحرب وهيَّأها ميمنة وميسرة وقلباً، وأوّل من رتَّب الجُند وخمَّسه للقتال. برز للحرب في أوّل جند برز من أولاده ومواليه في عدَّه ثلاثمائة وثلاثة عشر. عدَّة أهل بدر حين أسر لوط ابن عمه مع أهله ملك الرُّوم، فالتقاه في صحراء يعفور فاقتتلوا فهزمه إبراهيم عليه السَّلام وقتله مع جنده فاستنقذ لوط نبي الله وأهله وكان أغار عليه من بلاده.

أخرجه السُّيوطيُّ في الدُّر المنثور([١٣١]).

([١٣١]) الدُّر المنثور ٦٤٢/٥

قال أهل الحديث: أوّل نبي فُدى من الأسر لوط عليه السلام، ولهـذا [٣٢] كان فداء الأسير من أيدي العدو من أعظم القُربات وأجلّ الحسنات وآكد الواجبـات وأهم المهمّات على الملوك وفقهم الله لذلك. لما ورد في صحيح الخبر عـن سـيد البشر: " **من فدى أسيراً من أيدي العدو فأنا ذلك الأسير**"([١٣٢]).

وفي الخبر النبوي: "لأن أفدي أسيراً من أيدي العدو أحبُّ إلى من جزيرة العرب"([١٣٣]). يعنى من خيرات الحرمين الشريفين كذا قال أهل الحديث في معناه. أخرجه السُيوطيُّ في جامع الصغير([١٣٤])

{أول من قاتل بالسيوف ورفع الأعلام }

أول من قاتل بالسَّيف ورفع الأعلام في سبيل الله ونشر الألويـة وعلَّقهـا على الرِّماح، وقسَّم الفيء بين الغانمين من العسكر إبراهيم عليه السَّلام يعنى بعـد الطوفان؛ لأنَّه أوّل من قاتل من بنى آدم عليه السَّلام إدريس، هو أوّل من قاتل أولاد قابيل. ونزل عليه السَّيف، واتخذه عُدَّة الجهاد، وجمع بين الحكمة والنبوَّة والسَّلطنة، وجمع بين السَّيف والقلم واتخذها كما ذكر بتفاصيله في كتابنا الأوائل.

أقول: قد ورد في الصَّحيح أنَّ الغنيمة ما حلَّت لأحد سـوى نبيِّنـا عليـه السَّلام، وكانت الأنبياء عليهم السَّلام يأسرون ويغنمون ويقسمون الفيء من الأسارى والحيوان. أمَّا الأموال الجامدة ما كانت تحلُّ لأحدٍ فكانوا يجمعونه في محلٍ واحـدٍ فتنزل النار عليها من السماء وتأكلها فيدل ذلك على قَبول جهادهم، فإذا سُرق منـه أدنى شيء ما كانت تنزل وتحرق حتَّى يُردُّ إلى محلِّه كما ورد في صحيح مسلم.

{ إشارة لدنيِّة وبشارة مكيَّة }

لمَّا كان أفقر الورى تراب نعـال المجاهـدين مشـغولاً بتعميـر المقـام الإبراهيمي في سنة إحدى وألف فبعد التجديد والإتمام لزم وضع العلم الشريف على قُبَّة حضرة المقام فالتزمت بنفسي القاصرة أن أضع العلم الشريف على المقام بيدي،

([١٣٢]) **المعجم الصغير (٤٢٣) الفردوس بمأثور الخطاب (٥٧١٦).**

([١٣٣]) **مصنف بن أبي شيبة (٣٣٢٥٣).**

([١٣٤]) **لم أقع عليه.**

فجمعتُ صُلحاء مكَّة للدَّعوة الصَّالحة لسلطان الوقت بالفتح والنَّصر ودوام الدَّولة بنشر الأعلام برَّاً وبحراً شرقاً وغرباً على صدر الألف والمائة؛ لأنَّه صاحب القرانين بين الألفين والمائتين من الميزاب فنصبتُ العلم الشريف داعياً متضرعاً مع الحاضرين فاستخرتُ الله في قبول ذلك هل يفتح باب الجهاد في عصره ويخلِّص من أيدي العدو "دار الرّباط" ويسلطنهم عليها وأنا الفقير مشغوفاً بذلك من سكان "دار الرّباط" بمشهد السليمانيِّ بقرب سكتوار حماه الله بعين عنايته. فرأيتُ ما يرى النائم عقيب ذلك كأنه جيئت بالأعلام من أنواع الرِّماح الرُّوميَّة قد سُلبت منها ألويتها، وعليها آثار الدِّماء فانتكست بعضها وأقيمت بعضها وهى منكَّثةٌ لجدار الكعبة أو المقام. فتحيَّرت في ذلك الرُّؤيا وعلمت أنَّ لله أسرار الأسباب الكونيَّة يكون ذلك الانهزام سبباً لرفع الأعلام في سبيل الله فوصلت الأخبار من الرُّوم بعد أيام قلائل: قد استشهد بدار الجهاد المرحوم الشهيد المجاهد في سبيل الله حسن باشا وبعض الأمراء الإسلاميَّة وعساكرها. إنَّا لله وإنَّا إليه في كل أمر نزل، ورأيت بين الرِّماح المنصوبة عند الكعبة رمحاً عظيماً جليداً مصبوغاً متلطِّخاً بتراكم الدِّماء عليه قد نصب بسنانه هناك والدم يقطر منه والنَّاس يلتفتون إليه فنسأل الله من فيض فضله أن يمدَّنا بأنفاس الخليلية من مركز الفتح المكي إذ هو [٣٣] مقسِّم النصر والفتح ومعدن النفحات والتأييدات والفتوحات. كلٌّ نصر محمدي وفتح أحمدي فمن هناك مفتاحه ومرجعه، ومنه إمداده ومقسمه.

{بشارة مكية}

قال بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ المراد بذلك فتح مكة؛ إذ هو مفتاح فتوحات الدُّنيا بأسرها إلى يوم القيامة، منها تقوم رايات الفتوحات وإليها ترجع أنوارها ومعالمها لحكمة إلهية؛ لأنها أمُّ الخلائق الكونيَّة ومقسمها طلسم الوجود ومركزه. فشاهدتُ في ذلك الموطن المكي من أسرار الآيات المكيَّة الخليلية مقسم كلٍّ منال وكمال. وسقط الحجر من جانب الركن اليماني من الباب الممدود ثمَّ رُدَّ إلى محلِّه بأحسن، ونسأل الله الكريم أن يجبر أهل الإسلام بالفتح القريب والنصر العزيز ويداول النصر إلى عسكر الإسلام كما وعده

في كتابه الكريم: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ .

([١٣٥]) صدق الله الوليُّ الفتَّاح وبيده أزمَّة الأمور والمفاتيح.

{أوَّل من جعله الله أب الأنبياء }

أوَّل من جعله الله أب الأنبياء عليهم السَّلام إبراهيم الخليل صلوات الله عليه؛ لأنه بُعث بعد الفترة الكلِّيَّة ليس على وجه الأرض نفس مسلمة سواه، وكان معه سبعة أنفس مسلمة عند بناء الكعبة. سارة ابنة عمِّه، وزوجته، ولوط ابن عمِّه. وأهله من أولاده، فأوَّل من آمن بإبراهيم من الرجال لُوط، ومن النساء سارَّة.

وقيل: اختار الله خليله بخمسة أشياء، جعله أب الأنبياء بعد فترة النبوة، فقد روى أنه خرج من صلبه ألف نبي. أوَّلهم إسماعيل وآخرهم سيد المرسلين صلاة الله عليهم أجمعين. ولذا قال: "أنا دعوة إبراهيم" يريد قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ([١٣٦]) واتخذه خليلاً وأنجاه من النَّار وجعله للنَّاس إماماً وابتلاه بكلمات فوفَّقه حتى أتمهنَّ كما ذكر في تفسير أبي الليث.

{أوَّل من فرَّ بدينه إلى الله}

أوَّل من هاجر في سبيل الله وفرَّ بدينه إلى الله إبراهيم خليل الله صلوات الله عليه. وكان مولده على أرجح الأقوال بـ "كوثا" من إقليم بابل من أرض عراق العرب، وهاجر معه لوط نبي الله خرج معه إلى الشام، وكان يحبه حُبًّا شديداً ولذا سُمِّي لوط؛ لأنَّه ليط به. أي تعلَّق ولصق بقلبه فنزل إبراهيم فلسطين ونزل لوط الأردن.

من "تاريخ القدس"

([١٣٥]) آل عمران (١٣٩)، (١٤٠).

([١٣٦]) البقرة (١٢٩)

{أوَّل من جُرِّد في سبيل الله من ثيابه}

أوَّل من جُرِّد في سبيل الله من ثيابه خليل الله عليه السَّلام، فلذلك كساه الحق في ذلك المحل قميصاً من الجنة، ويكسوه أيضاً أوَّلاً في المحشر جزاءً وفاقاً. وكان حين وُضِع في المنجنيق ورُمى به جُرِّد عن أثوابه سوى السَّراويل. فقصد بعض السُّفهاء نزعه فشُلَّت يده، وخمدت النيران على وجه الأرض ذلك اليوم. فقال جبريل: ربك يقرئك السَّلام ويقول: أما علمت أنَّ النَّار ما تضرُّ أحبَّائي. فقال عليه السَّلام: حسبي الله ونعم الوكيل.

من "تاريخ القدس"

{أوَّل من هاجر من وطنه في ذات الله}

أوَّل من هاجر من وطنه في ذات الله تعالى خليل الله عليه السَّلام حفظاً لدينه، ومن هنا وجبت الهجرة في الشرائع كلِّها عند الخوف من الإيمان صوناً لدينه ولعمله، فلذلك جازاه الله تعالى في جميع الملل [٣٤] يسعون نحو حضرته ومشهده المقدَّس من جميع الأقطار إلى يوم القرار، حتَّى قال له نمرود عدوُّ الله حين رأى جميل فعل الله معه حين خرج مع عسكره وخدمه لينظر ما جرى لإبراهيم في النَّار بعد ثلاثة أيَّام. فلمَّا نظر نمرود رأى مع خليل الله شخصاً. فقال: يا إبراهيم، من الذي رأيته معك؟ فقال: ملك الظلم. أرسله ربِّي ليونسني فيها. فقال: إنِّي مُقرِّب إلى إلهك قرباناً لما رأيت من حسن صنيعه بك وقدرته. فقال: لا يقبل الله منك ما لم تدخل دين الإسلام وتفارق دينك. فقال: لا أستطيع ترك ملكي وسلطاني. ولكن أذبح أربعة آلاف بقرة. فذبحها وكفَّ عنه وقال: أسألك الخروج من أرضي إلى حيث شئت. فأجابه فخرج مع أهل بيته ينتقل من الرُّها إلى حلب ثمَّ إلى الشَّام، ثمَّ إلى مصر. فجرى له مع فرعون ما اشتهر وذكر في التواريخ من طلب سارة منه ومدِّ يده إليها وشَلِّ يده كما سبق ذكره. ثمَّ تاب من ظُلمه وأكرمه ووهب لسارة هاجر. ثمَّ أذن له بالرحيل من مصر وملَّكه المقام المعهود اليوم مع القُرى فيزار ويستضاف إلى يوم القيامة. وقيل: آمن به فرعون زمانه كما ذكر في تاريخ مصر.

{أوّل من أضاف الضيفان}

أوّل من أضاف الضيفان خليل الرحمن عليه السّلام، وهو أوّل من سُــمِّيَ بأبي الضيفان. قال الإمام الغزالي في الإحياء: إنَّ إبراهيم عليه السّلام كان يخــرج ميلاً أو ميلين يلتمس ضيفاً يأكل معه. فبصدق همَّته وخلوص نيَّته دامت ضــيافته إلى الحشر عند مشهده المُنوَّر المقدَّس. فلا ينقضي يوم وليلة إلاَّ ويأكل ضيف عنده ويُطعم فقير لديه. صلوات الله عليه.

{أوّل من بني داراً للأضياف }

أوّل من بنى داراً للأضياف وجعل لها بابين ما رُوى عــن ابــن عبَّــاس رضى الله عنهما قال: إنَّ الله وسَّع على خليله في المال والخدم والمواشي فاتخذ بيتاً للضيافة له بابان يدخل الغريب من أحدهما ويخرج من الآخر، ووضع فــي ذلــك البيت كسوتي الشتاء والصيف ومائدته منصوبة. عليها طعام فيأكل الضيف ويلبس إن كان عرياناً فكان يجدد ويُعدُّ كل زمان في عصره إلى انتهاء الدور فــذلك مــن أعظم الآيات المقاميَّة الإبراهيمية الخليلية. له آيات في الأكوان غير مختص بمكان عليه صلوات الله الرحمن.

{أوّل من ابتلي من الرُسل}

أوّل من ابتلى من الرُسُل الكرام وأولي العزم عليهم السّلام هو كما أشــار سبحانه: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ (١٣٧) الآية. فمدحه بالوفاء بقوله ســبحانه: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ (١٣٨) ومعنى التوفية هو الإتمام لِما طولِبَ به في دينه ونفسه وماله فأتمَّ الكلَّ على الوجه المطلوب.

ولمَّا أُلقي في النار استغاث الملائكة فقالوا: يا ربِّ قد نزل بخيلك ما أنت أعلم. فقيل لجبريل. أغثه. فتعرَّضه بالغوث قائلاً: هل لك من حاجة؟ فقال: أمَّا إليك فلا. وأمَّا إلى الله فبلى. حسبي عن سؤالي علمه بحالي. ثمَّ جــاءت الطيــور تمــدُّ أجنحتها إليه فأبى متوكِّلاً على ربِّه العليم في مقام الشهود الكُلِّى التوحيدي الــذاتي

---

(١٣٧) البقرة من الآية (١٢٤).

(١٣٨) النجم (٣٧).

غائباً بوحدة المسبِّب عن الأسباب كلِّها. فأبت الطيور عن تلاطم شعاشع أمواج النَّار فدخل البلبل فدى نفسه في محبَّة الخليل عليه السَّلام رغبة في جواره الأعلى فجزاه الله بالعصمة الخليلية لحسن الصَّوت والصِّياح في موسم الورد؛ لأنَّه نبت شجر الورد عند دخوله فباض وفرح واستبشر وطرب فلا يزال بأصوات المحبَّة والاشتياق إلى حضرة الخليلية لا إلى مواسم الورد بل إلى محبة [٣٥] الخليل عليه السلام.

وفي الخبر: امتنعت الدواب عن حمل الحطب إلاَّ البغال فجُوزيت بالعقم، وهمَّت حشرات الأرض بإطفاء النيران إلاَّ الوزغة سامٌّ أبرص. فجوزي قاتله في لسان الشرع بقوله صلَّى الله عليه وسلم: "من قتلها فكأنما قتل مشركاً".

من كتاب "حياة الحيوان الكبرى"([١٣٩])

{أوَّل من لبس السراويل}

أوَّل من لبس السراويل إبراهيم عليه السلام؛ كان كثير الحياء حتى كان يستحيي من ثرى الأرض، فاشتكى إلى الله فهبط عليه جبريل عليه السَّلام بخرقة من الجنَّة ففصَّلها جبريل سراويل وقال: أرفقه إلى سارة تخيِّطه. فخيَّطها فلبسه فقال: ما أحسن هذا الستر يا جبريل. نِعم السُّترةُ للمؤمن. إذا متُّ فاغسلوني من تحته. فصارت سارة أوَّل من خاطت من النِّساء. فصار الغزلُ أفضل الحرف للنساء والخياطة للرِّجال كما ورد في الحديث الصحيح من تاريخ القدس.

{أوَّل من ضرب بالسُّيوف في سبيل الله}

أوَّل من ضرب بالسُّيوف في سبيل الله وكسر الأصنام غَيْرَةً على الله تعالى إبراهيم خليل الله، ولذا كان السَّيفُ أفضل العدَّة. وأوَّل من اتخذه إدريس عليه السَّلام. وقيل: نزل عليه من تحت العرش، وكان تحت العرش مغموداً مُعلَّقاً.

([١٣٩]) كمال الدين محمد بن موسى الدميري. حياة الحيوان الكبرى ص٢٨٨ .

وقال صلّى الله عليه وسلّم: "لنا سيف من سيوف الله"([140]). وقال: "بُعثتُ بالسَّيف"([141]). [و]ورد في الحديث المشهور أخرجه السُّيوطيُّ: "الحسن والحسين سيفا العرش، وليس بمعلَّقين"([142])

وحُكي أنَّ سيدنا علي بن أبي طالب رضى الله عنه هُوتِفَ في بعض الغزوات: "لا فتى إلاَّ عليٌّ، ولا سيف إلاَّ ذو الفَقَار". وهو سيف مُورَّثٌ محمدي. ورثه بعد رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وصيَّتهُ منه صلَّى الله عليه وسلم. فالسيف أفضل آلات الجهاد؛ لأنَّه محمدي الأصل، إبراهيمي المظهر، إدريسي الصَّنعة، حسيني الحقيقة، علوي المطلب، إيماني المرغب. وإليه فارغب. فهذا لُمْعَةٌ من شموس أنوار السَّيف لا زال يجول في الكون المشرقي بكل قرمٍ صارمٍ صنديد مُتَّقي. ورسمتُ رسالة سيفيَّة أوردتُ فيها من لطائف الأخبار والكنايات وأسماء السُّيوف وألقابها([143]).

{أوّل من رفع يده في الصلاة بالتكبير}

أوّل من رفع يديه في الصلاة بالتكبير وصلَّى أوّل النهار أربع ركعات جعلهُن على نفسه نذراً فسمَّاه وفيًّا، وهو أوّل من صلَّى الضُّحى، وتُسمَّى هذه الصلاة الخليليَّة [و]عند بعض المشايخ صلاة الإشراق عند ارتفاع الشمس، ويسمى صلاة الضُّحى عند المحدِّثين. أوّل وقته من ارتفاع الشمس إلى قرب زوالها. وأقلُّ الضُّحى والإشراق ركعتان كما ورد في الحديث فضيلة جليلة.

ولصلاة الضحى فضائل منها: أنَّ ركعتي الإشراق بعد طلوع الشَّمس وهو قاعد في مصلاَّه يذكر الله ثمَّ يصلِّي ركعتين تعادل حجَّة تامةً وعُمْرةً تامةً. ورد ذلك في صحيح مسلم وفي رواية أيضاً تعادل عشر رقاب من بنى إسماعيل.

([140]) لم أقع عليه.

([141]) نصُّه: عن ابن عمر قال قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم "بعثت بالسيف حتى يُعبد الله لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلَّة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم". مسند أحمد (٥١١٤)

([142]) لم أقع عليه.

([143]) الرسالة الانتصارية. هداية العارفين ٤٠١/١

وفي الخبر القدسي: "يا ابن آدم، اركع لي ركعتين في أوّل النهار أكفيك آخره". إلى غير ذلك، والله الولي الفيَّاض.

{أوّل من اختتن من الأنبياء}

أوّل من اختتن من الأنبياء الكرام عليهم السَّلام خليل الله عليه السَّلام وإن كانوا قد وُلدوا كلُّهم مختونين مسرورين. ففعل ذلك ليقتدي به أهل الملل، ويتشرَّعُ بسنَّته الأمم؛ لأنَّ الكل مأمور باتباع ملَّته واقتداء سنن فطرته. فختن نفسه وهو ابن ثمانين سنة، وختن إسحاق وهو ابن سبعة أيَّام.

وأمَّا سبب ختانه نفسه عليه السَّلام أنه أمر بقتال العمالقة فقاتلهم. فقُتل خلقٌ كثيرٌ من الفريقين [٣٦] فلم يعرف أصحابه ليُدفنوا فأمرهم بالختان ليكون علامة المسلم وسنةً يُقتدى بها؛ فختن نفسه بموضع من الشَّام يقال له: القَدُوم. وقيل: بآلة القَدُوم. ضرب به فسقطت غرلته بين يديه بلا ألم ودَم فجرى ذلك عدم التألم عند الختان من بركات الخليليَّة صلوات الله عليه كما ذكر في تاريخ الأنبياء عليهم السَّلام.

{أول من اختتن من النساء}

أوّل من اختتن من النساء وأوّل من جر ذيله هاجر أم ولده. وهبتها له سارة. فحلفت وغارت حين رأت اختيالها لها في اللِّباس. أنَّها تملأ بين يديها دَماً. فقال خليل الله عليه السَّلام: دم. خُذيها فاختتنيها لتكون سُنَّة بعدكم. وتتخلَّصين من اليمين. ففعلت فجرت سُنَّةً سارية. ساريَّة هاجريَّة في النِّساء.

أوائل السُيوطيّ(١٤٤)

{أوّل من شاب من بنى آدم}

أوّل من شاب من بنى آدم خليل الرحمن. فقال: يا ربِّ، ما هذا؟ فقال تعالى: هذا وقارك يا إبراهيم. فقال: يا ربِّ، زِد وقاري. فما برح حتَّى ابيضَّت لحيته الشَّريفة المنيفة.

---

(١٤٤) أوائل السُيوطيّ ص٢٢

وعن علي رضى الله عنه: كان الرجل يبلغ الهرم ولم يشب، وكان في القوم والدّ وولد، فلا يُعرف الابن من الأب. فقال عليه السَّلام: يا رب، اجعل لي شيئاً أُعْرَفُ به. فأصبح رأسه المباركة ولحيته الشريفة أبيضان إذ هم نوران. فكمُلتْ المحاسن البشريَّة بذلك. وازدادت نضرة بعد نضرة كما ذُكر في الأخبار من التواريخ.

{أوَّل من لبس النعلين}

أوَّل من لبس النعلين وفرَّق الشَّعر وتنسك بخلقة وقصَّر وقلَّم الأظفار وقصَّ الشوارب خليل الله عليه السَّلام.

من تفسير الدُّر المنثور(١٤٥)

{أوَّل من صافح وعانق}

أوَّل من صافح وعانق خليل الله عليه السلام.

أخرجه السُّيوطيُّ في الدُّر المنثور(١٤٦)

[قيل]: إنَّ إسكندر الأكبر اجتمع مع إبراهيم عليه السَّلام في الحرم المكيِّ في سفره فعانقه وصافحه وأعطاه الراية فتشرَّع بشريعته ودخل ملَّته ودعا النَّاس عليها.

وذكر أيضاً في تفسيره أنَّه لمَّا رأى إبراهيم وإسماعيل يبنيان البيت وهو نازل بجنوده في الحرم المكيِّ فقال: من أمركما ببناء البيت الحرام بملكي ولم تستأذنوا؟ فقال: أمرني الله ببناء البيت المحرَّم. فقال: من يشهد بذلك؟ فقامت سبعة أكباش كانت ترعى هناك تشهد أنَّ الله تعالى قد أمر خليله وذبيحه عليهما السَّلام ببناء بيته كما ذكر بتفاصيله في تفسيره(١٤٧)

---

(١٤٥) الدُّر المنثور ٢٧٤/١

(١٤٦) لم أقع عليه.

(١٤٧) الدُّر المنثور ٣٠٨/١

{أوّل من ضحّى يوم العيد}

أوّل من ضحّى يوم العيد [و]أقام مناسك الحجّ بعد أن كانت فُتُرت بالفترة الكليَّة بعد الطُّوفان فأحيا معالمها ومشاعرها ومنائرها كما كانت في عهد الآدميَّة إلى زمان نوح عليه السَّلام. وأما سبب التَّضحية فقصة ذبيح الله إسماعيل أو إسحاق على اختلاف الرِّوايات بين العلماء، وبسطتُ الكلام على ذلك في كتاب "أسئلة الحكم وكنز العلوم"(١٤٨).

{أوّل من خطب على المنبر}

أوّل من خطب على المنبر إبراهيم عليه السَّلام كما ورد من حديث مُعاذ بن جبل رضي الله عنه. قال صلَّى الله عليه وسلَّم: "إني أتخذُ المنبر. فقد اتخذه إبراهيم عليه السَّلام".

أخرجه السُّيوطيُّ في "الدُّر المنثور"(١٤٩)

{أوّل من سمَّاه الله حنيفاً}

أوّل من سمَّاه الله حنيفاً مسلماً وبرأه من دعاوى اليهود والنصارى خليل الله عليه السَّلام بقوله تعالى:﴿ **مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ (١٥٠) .

من "الدُّر المنثور"(١٥١)

{أول من ألقي في النَّار في ذات الله }

أوّل من أُلقِي في النَّار في ذات الله فكان عليه برداً وسلاماً، وأوّل من أحيا له الموتى بسؤاله للتحقيق بكمال الاطمئنان واليقين خليل [٣٧] الله صلوات الله عليه. كما ذُكر في التفسير المذكور.

---

(١٤٨) هما مسميان لمصنَّف واحد. انظر: كشف الظنون ١/٨١، هدية العارفين ١/٤٠١

(١٤٩) الدُّر المنثور ١/٢٨٢

(١٥٠) آل عمران آية (٦٧).

(١٥١) الدُّر المنثور ٢/٢٣٧

{أوّل من تكفَّل لصبيان المسلمين}

أوّل من تكفَّل لصبيان المسلمين من الآباء الكرام الربانيِّين تسليَّةً وتربيـــةً وصلةً ورحمةً للأولاد الصِّغار إلى يوم القيامة في البرزخ الأعلى إبراهيم خليل الله مع زوجته سارة عليهما السَّلام عند سدرة المنتهى، يرضعون أطفال المؤمنين مـــن لبن الجنَّة. لكل صبي ثدي، يبدو من السِّدرة، وبقربها جبل من الكثيب الأبيض فيـــه حجرات عليها ملائكة كرام يُعلِّمونهم القرآن إلى يوم القيامة حتَّى يحشـــروا علـــى الفطرة ويلحقوا بآبائهم يوم القيامة في الدَّرجات. ولذلك قيل للخليل عليه السَّلام الأب الثَّاني. ذكره السُّيوطيُّ في كتاب "بُشرى الكئيب بلقاء الحبيب"([١٥٢]) في باب مُسْتَقَرِّ الأرواح بعد الموت ومقارِّها ومراتبها في البرازخ العلويَّة.

{أوَّل من قبَّل بين العينين}

أول من قبّل بين العينين وعانق عند المصافحة إبراهيم عليه السلام. قيل: كان عند القدوم من السفر أو عند الاستبشار والمؤاخاة.

{أوَّل من اغتسل للجمعة }

أوّل من اغتسل للجمعة والأعياد وأوّل من هاجر وهو ســيِّد المهـــاجرين. [و]لكلِّ نبي هجرة وله هجرتان كما في الدُّر المنثور.([١٥٣])

{أوَّل من يُكسى حُلَّة بيضاء}

أوّل من يُكسى حُلَّة بيضاء يوم القيامة وأوّل من يوضع له منبر عن يسار العرش إبراهيم عليه السَّلام، إذ هو أوّل من خطب ووعظ وأثنى علـــى الله علـــى المنبر؛ فجُوزي بذلك وهو سيِّد الخُطباء.

من الدُّر المنثور([١٥٤])

([١٥٢]) بشرى الكئيب بلقاء الحبيب. رسالة لخَّصها من كتابه الكبير الذي ذكر فيه أحوال البرزخ، والكتاب طُبع على هامش كتاب شرح الصدور في أحوال المـــوتى والقبـــور. كشـــف الظنـــون ٢٤٦/١، معجم المطبوعات ١٠٧٦/١

([١٥٣]) الدُّر المنثور ٤٥٩/٦

([١٥٤]) الدُّر المنثور ٢٨٢/١

{أوَّل من أذَّن في النَّاس بالحجِّ}

أوَّل من أذَّن في النَّاس بالحجِّ إبراهيم عليه السَّلام فأجابه كلُّ شيء سمعه. في الأصلاب والأرحام قائماً على المقام بعد بناء البيت الحرام. فطال تحته وفاق على الجبال وشاهد المناسك والمواقيت قُرباً وبُعداً، ثمَّ رجع من الحجاز إلى الشَّام فتوفَّاه الله به في محلِّه المشهور بفلسطين وهو ابن مائتي سنة، وقيل غير ذلك.

فأوَّل من أجابه جُرهُم؛ لأنهم أوَّل ما نزلوا على البيت وأسلموا وحجُّوا. ثمَّ الأوَّل فالأوَّل إجابةً. فكلُّ من سارع إلى الإجابة الإبراهيميَّة فقد سارع إلى الحجِّ. فكلُّ من كرَّر الإجابة والتلبية حجَّ على قدر تكراره كما ذكر في التفاسير والتواريخ.

{أوَّل من لبَّى إبراهيم عليه السَّلام }

أوَّل من لبَّى إبراهيم الخليل حين قيل له: أذِّن في النَّاس بالحج. فقال: كيف أقول يا ربِ؟ فقال: قل: لبَّيك اللهم لبَّيك إلخ. إذ هو أوَّل من حجَّ بعد بنائه.

من الدُّر المنثور([155])

{أوَّل من يكسى يوم القيامة}

أوَّل من يكسى يوم القيامة إبراهيم خليل الله عليه السَّلام بخلَّته، ثمَّ أنا بصفوتي، ثمَّ علي ابن أبي طالب يُزفُّ بيني وبين إبراهيم زفَّاً إلى الجنَّة..الحديث. رواه عبد الله بن عبَّاس رضى الله عنهما.

"تاريخ القدس"

[قيل:] أوَّل من يُكسى إبراهيم يوم القيامة قَبَطِيَّةً، والنبي صلَّى الله عليه وسلَّم حِبَرَة وهو عن يمين العرش..الحديث.

أخرجه السُّيوطيُّ عن علي رضى الله عنه([156]).

([155]) الدُّر المنثور ٣٤/٦

([156]) الدُّر المنثور ٢٨٥/١

{أوّل من يكسى يوم المحشر}

أوّل من يكسى يوم المحشر إبراهيم خليل الله عليه السلام. يقول الله عزَّ وجلّ: اكسوا خليلي، فيؤتى من الجنة بريطتين بيضاويتين فيلبسهما بمحضر الأنبياء الكرام ثمَّ يقعد مستقبل يعني عن يسار العرش.

قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم: "ثمَّ أوتي بكسوة فأكسى فأقوم عن يمين العرش مقاماً محموداً لا يقومه أحد فيغبطني فيه الأوّلون والآخرون"(١٥٧).

أقول: قد اتَّفق المفسِّرون والمحدِّثون أنَّ ذلك المقام هو المقام المحمود والموعود في قوله تعالى: "عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً"(١٥٨) [٣٨] وهو مقام الشفاعة الكبرى لعامة أهل المحشر من الملائكة والإنس والجنِّ. [و]إذا فتح المقام المحمدي فيفتح جميع أبواب الشفاعات. وله صلَّى الله عليه وسلَّم شفاعات متعددة غير منحصرة بموطن من مواطن الدُّنيا والآخرة والبرازخ. اللهم صلَّى وسلَّم على خاتم النبيين ورحمة العالمين وشفيع يوم الدِّين. اللهم أنزله المقعد المقرَّب عندك يوم القيامة، وعلى آله وصحبه كما صلَّيت وسلَّمت على إبراهيم في العالمين إنَّك حميد مجيد.

{أوّل من تجلَّى له الحقُّ تعالى}

أوّل من تجلَّى له الحق تعالى وتقدَّس بهويته الذاتيَّة الأحديَّة السَّارية في المظاهر الكونيَّة الشهاديَّة من الشموس والأقمار والنجوم والإحياء والإماتة والحقائق الأسمائيَّة كلِّها خليل الله صلوات الله وسلامه عليه. وهو مظهر الكلي الأحمدي الجامعي الذاتي. جوزي بذلك لأنَّه ابتغى ودعا أن تظهر الدَّولة المحمديَّة من نسله فأجيب. فجوزي بتحقيق الحقيقة الأحمديَّة. فكان أوّل مظهره في التَّجلِّي الأحدي الذاتي.

قال بعض الأولياء الكُمَّل في شرح الفصوص: وهو أوّل من خلع الله عليه صفاته الثبوتيَّة الحقيقيَّة من أولاد آدم عليه السَّلام بعد الفناء فيه والبقاء به. كما

(١٥٧) الدُّر المنثور ٣٠٣/٤

(١٥٨) الإسراء من الآية (٧٩)

وردت الإشارة في الحديث الصحيح: أنَّ إبراهيم أوَّل من يُكسى يوم القيامة يعني هو أوّل مظهر يوم المحشر من مظاهر الشفاعة الأحمديَّة بسبب غبطته في دعوته إيَّاه صلَّى الله عليه وسلَّم؛ ولذلك السر السابق الأزلي والمناسبة الأزليَّة الرُّوحانيَّة شاركه صلَّى الله عليه وآله في الصلوات بقوله: "كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم"، وهو التعارف الأزلي مع الرُّوح الكلي المحمَّدي. وأوّل مظاهره الكليَّة الذاتيَّة فلذلك حصلت الخلَّة لإبراهيم؛ لأنَّ أقرب رتبة إلى حضرة المحبَّة الذاتيَّة الأحمديَّة هى الخلَّة السَّارية بفيض الحبِّ في الوجود، والله الولي الفيَّاض.

أقول: وللخليل صلوات الله عليه من أوائل الفضائل العديدة والخصائل [و]الشمائل الفريدة إذ هو محبوب الملل، ومقتدى الأمم. ظهر بصورة الجمعيَّة الكليَّة الأحمديَّة فهو أوّل من تحقق بها وظهر بكمالاتها فلذلك السِّرُّ المكتوم عند أهل الحقيقة. كانت الحقيقة المحمَّديَّة غبطته العظمى، ودعوته الكبرى، كما أشار صلَّى الله عليه وسلم: "أنا دعوة إبراهيم" صلوات الله البرُّ الرحيم على الحبيب والخليل وآلهما وآل كل نبي ورسول وأممهم المؤمنين آمين.

{الخاتمة}

أمَّا الخاتمة فهي مُرتَّبة على أربعة مقاصد. عدد أركان البيت؛ تبرُّكاً بها. وعدد أركان العالم.

{المقصد الأوَّل}

في رسم بناء المقام الذي تحت القبَّة الشَّريفة

مقدِّمة المقصد

اعلم أنَّ المقام هو اسم لجوهرٍ سماويٍّ جناني، نزل من دار السَّلام عند هبوط آدم عليه السَّلام مع الحجر الأسود كما مرَّ في المشهد الثاني، فكان بعد نزوله يستقرُّ في البيت الحرام وتارة خارج البيت ملاصقاً به. وصار برهةً من الزَّمان على جبل قبيس يضيء كالنجم النَّيِّر، ثمَّ أصابه ما أصاب الحجر الأسود من مسِّ أهل الجاهليَّة والشِّرك. وطُمس نوره وشعاعة فانماح وانمسح واخلولق واختفي نوره وغرب ظهوره لحكمةٍ إلهيَّة يعرفها العارفون من المشايخ الكرام.

وأمَّا هذا الوضع [٣٩] من البناء حوله وفوقه طولاً وعرضاً المخصوص في عصرنا فهو وضع الإسلامي العمريِّ من جهة الأوليَّة وضعاً وانفصالاً واتخاذاً له مُصلًّى كما مرَّ ذكره. فنزل في حقه الآية الكريمة فانفصل من البيت واتُّخذ مصلًّى لطائفي البيت الحرام. فأثبت الأزرقي ذرعه وبناءه توقيفاً صحابياً عُمريًّا كيف ذرعه ووضعه عمر الفاروق كما مرَّ ذكره فبُنى بعد ذلك في الإسلام مراراً. ولكن ما يزيد في طوله وعرضه على الوضع الأوَّل، ولا يجوز الزيادة عليه سوى تحسين خطوطه ونقوشه.

[قال المصنِّف:] وجدتُ عند تجديده عليه من أسماء الملوك. أسماء ملوك على قوائمه الذين عُمرت في أعصارهم.

أقول: وأمَّا البناء المرادي السُّلطاني العثماني الخاتمي الذى جدد الله بوجوده أمر الأمَّة فهو الأحسن والأجمل من أبنية الملوك السَّالفة كانت على المقام من آثار أبنيتهم على الألواح والقواعد، ففاق البناء المرادي أبنية الملوك في الحرم

الشَّريف والمقام المنيف تذهيباً وتحسيناً وإتقاناً من جميع الوجوه أدام الله دولته ظاهراً وباطناً ونشر أحكام معدلته براً وبحراً آمين.

فأمَّا رسم المقام المصلَّى داخل المقصورة وهو أنَّ المقام في وسطها بالشبابيك من النُّحاس الأصفر، لها باب يفتح من المصراعين. والمقام الكريم قد عُمل عليه صندوق من حديد محيط به من الجهات الأربع. وفيه باب من حديد من مصراعين يفتح ويدخل بالرأس ويصبُّ الماء من زمزم على المقام على صورة قدمي الخليل عليه السلام.

فيُشرب ويُتبرَّكُ به ويُحمل منه إلى الأعيان وفي حوالي المقام من الذهب المصبِّ والفضَّة ليتمسَّك الحجر الشريف كما ذكر تفاصيله في رسالة ذرع الكعبة([٥٩]) وتاريخ الأزرقي.

وعلى المقام قبَّة منقوشة بالذهب واللاَّذورد، ومكتوب في مركز القبَّة الداخلة الدَّعوة الإبراهيميَّة بمنزلة المركز والمقسم المشار إليها في الحديث المصطفوي: "أنا دعوة إبراهيم" وهى قوله تعالى: ﴿ **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾([٦٠]) ومكتوب في وسط القبَّة. ثمَّ كُتبت من الآيات الكريمة قوله تعالى: ﴿**وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ**﴾ ([٦١]) إلى آخر الآيات المكيَّة. وكُتب قوله تعالى:﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ﴾ ([٦٢]) إلخ. ثمَّ كُتب تحت الآيات في (دار ما دار) آية الصَّلاة، ثمَّ الصَّلاة المشهورة "كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم" إلى آخرها. والقُبَّة موضوعة على قاعدة التربيع على كلٍّ ركن منها علم مُذَهَب ما كان قبل ذلك. ومكتوب بالخطِّ

([٥٩]) للخصَّاف أحمد بن عمر المتوفي ٢٦١هـ. الفهرست ٢٩٠/١، كشف الظنون ١٤١٩/٢، هداية العارفين ٢٦/١

([٦٠]) البقرة آية (١٢٩)

([٦١]) الحج من الآية (٢٦)

([٦٢]) الحج آية (٢٧)

الذهبي واللأذوردي الجلي من أول سورة الفتح إلى قوله: "فوزاً عظيماً" في (دار ما دار).

وفي كل ركن مكتوب في الداخل بيت من الفتوحات المكيَّة في صورة شمسيَّة ذهبيَّة بالخطِّ الأخضر بمداد الجوهري في غاية النضرة والحسن البيت الأوَّل من جانب البيت المحرَّم:

البيت يا كعبة الله يا حياتي يا منهج السُّعداء يا رشادي

وفي البيت الثاني من [الـ]جانب المقبل جهة البيت قبالة الباب الكريم:

يا قبلة أقبلتُ إليها من كل ربعٍ وكلِّ وادي

والبيت الثالث من جانب المنبر الشريف:

فيك المقام الكريم يزهو فيك السعادات للعبادي

والبيت الربع من جانب بئر زمزم [٤٠]:

يا بيت ربِّي يا نور قلبي يا قرَّة العين يا فؤادي

أمَّا المكتوب فوق الشبابيك المذهَبة بالخطِّ الذهبي الجسيم كل ألفٍ من الخط الجلي النسخي أكثر من نصف الذِّراع: الأسماء الحسنى تسعةٌ وتسعين اسماً. يدهش عقل الناظر إلى حُسن صنعتها في (دار ما دار) بأنواع التَّزخرف في صورة التربيع بتقسيم الأسماء في الأركان بخط الأستاذ المشهور. كل ناظر إليها يقول: "ما سبق بمثله في المعابد الشريفة والمقامات المنيفة". كما قيل في وصف المقام الشريف عند الإتمام:

كأنه قصرُ عدن حلَّ من دار المقام

حطَّته أيد أملاك بتذهيب وأقلامِ

وأشكال دائرات بأوفاقِ الإكرام

حسَّنته بآيات وأسماء وأرقام

يا آية مكيِّة استمرت بالدَّوام

وأمَّا القنديل المعلَّق وسط القُبَّة نازل فوق المقام قريبٌ قدر الذِّراع. مُصنَّع ما عرفنا من علَّقه من الملوك. عليه خطوط انمحت من طول الزَّمان فجدَّدناه بالتذهيب،

وكتبنا عليه بالخط اللاَّذوردي الجلي قصيدة في مدح المقام ممَّا ورد مضمونه في الأخبار والآثار من كتب التفاسير والأحاديث قصيدة المقام ألقاها الوارد عند إتمام المقام الإبراهيمي:

يا حبَّذا من مقام لإبراهيم عليه السَّلام
يا حبَّذا من مُصلَّى فيه آياتٌ عِظام
يا حبَّذا من مشهد ومأمنٍ للأنام
طوبى له من جوهرٍ ومشعر للإسلام
كان كرسي أبينا سار من روض السَّلام
يا مُقام، أيُّ مقام لانَ تحت الأقدام
سمى به نحو السماء داعٍ إلى بيت الحرام
فعلى عليه الخليل عند أمرٍ بالإعلام
كلُّ روح لبَّت له في الأصلاب والأرحام
ذاك خارج لبيته يأتي إلى يوم القيام
من أشعث وأغبرٍ ذي راجلٍ وذمام
يا آيةً بكيَّةً استقرَّت بالدَّوام

وعُلِّق تحت القنديل بيضة خضراء مكتوبٌ عليها بيتين جليلين بلسان المقام في تاريخه بصنعة البديعة:

أنا المقام المصلَّى بين الآي والشرف
إثر ألفٍ صدر ألف تاريخنا في الألف

وأمَّا الأعلام فخمسة: أربعة منها على جوانب القاعدة المربَّعة تحت القُبَّة الفوقاني والقبَّة الأخرى من داخل المقام تحت القاعدة. فثمَّ قبَّة، وعلى وسط القُبَّة عَلمٌ عظيم مكتوب عليه سورة الفتح وبعض الأوفاق والأرقام قد انمحت خطوطه. موضوعةٌ في الدَّولة العبَّاسيَّة. زدنا وسط هِلال العَلَمِ رسم حضرة الجلالة فتمَّت محاسنه وأثنى أهل الحرم بذلك ثناء حسناً وهو رأس الأعلام المنصوبة على المقامات وصدرها؛

لأنَّ أوّل من رفع العلم في سبيل الله خليل الله عليه السلام. وكان مكتوبٌ عليه من الصنائع العجيبة من الخطوط والأرقام اجتهدنا في إصلاحه ومحاسنه بهمَّة سلطان [٤١] صدر الألفي المرادي الغوثي الإمامي أعلى الله أعلام دولته ونشر أحكام معدلته ونصرته باطناً وظاهراً أوَّلاً وآخراً باسمه الأعلى الأجلِّ الأكرم آمين اللهم آمين.

{المقصد الثاني}

في رسم المصلَّى خلف المقام

وهو اليوم مقام الإمام الشافعي، يُصلَّى فيه الفرائض مع الجماعة، ويصلَّى فيه صلاة الطَّواف. وكان قبل ذلك مقام إمام الشافعيَّة خلفه تحت الطاق الموجود اليوم كسائر المقامات الإماميَّة من الحنفي والمالكي والحنبلي، وسبب كونه مقام للشَّافعيَّة من زمان سلطان قايتباي، كان يصلي صلاة الطَّواف في حجِّه فأقيمت الصَّلاة للغرض. فأشار إلى الإمام الشَّافعي ليتقدَّم عنده ويصلِّي معه هناك ويقتدي بالبيت له، كان تأخَّر إلى جانب الإمام؛ لأنَّ المقام كان مُصلَّى للطائفين لا يجوز حصره في وقت من الأوقات؛ لأنَّ الطائف لا يخلو وقتاً من الصلاة، ولأنَّ ركعتي الطواف سُنَّة خلف المقام كما ورد في الأحاديث.

أقول وبالله التوفيق: أمَّا الجانبان والمصراعان خلف المقام فهما بمنزلة المحراب. عليهما قفل يُقفل ويحمل مفتاحه مع مفتاح الكعبة، ويفتح عند فتحها. منهما جُدِّد القفل، يوضع على المقام عتيقة. وأمَّا شبابيك الباب كان قد تغيَّر واسودَّ من كثرة التمسح وطول الزمان؛ لأنَّه من زمان الدولة العبَّاسيَّة، فذهَّبناها بعد كشف الصَّداء عنها، وادَّهَنَّاها بدهان الذهب الحكميَّة المعمولة كصنعة الكيمياء فتعجَّب أهل الحرم من كيفيَّة تذهيبه وانجلائه، واعتقدوا بأنه على تذهيب الألف من الذهب مع أنه حصل تذهيبه بخمسين ذهب، اخترعه رجل صالح من أهل بخاري. أراد بعض [الحاضرين من] الأستاذ الاطِّلاع [على] ذلك فامتنع وقال: لو لا ذلك شغل المقام لما فعلته ولو بألف ذهب. فعددنا ذلك من بركات المقام وجملة آياته، فالشبابيك الشريفة كلها حوالي المقام مُذهَبة، وداخلها مصبوغ بالخُضرة الصِّينيَّة المتقنة. لا تنتهي من

ماء الأمطار، ما سبق مثله في الحرم إلى الآن على يد رجل كامل من أهل الكمال، تعجَّب أهل العصر من حسن صنعته. ما سبقه قبل ذلك سابق في النقش وصنعة الخطوط، ورسمنا فوق الشبابيك في (دار ما دار) بالآيات المكيَّة: **﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾**

(١٦٣) ثمَّ المكتوب فوق ذلك الاسم الأعظم مع اسم النبي صلَّى الله عليه وسلَّم وأسماء العشرة المبشرة. فوقع بالاتفاق اسم عمر وعثمان بمقابلة وجه المصلِّي عند التوجيه. فترك بسبب ذلك كثير من الأعجام الرفضة وبني الحسنيَّة الزيديَّة الصلاة خلف المقام، فصار ذلك من جملة الآيات المقاميَّة والكرامات الفاروقيَّة السُّنيَّة السَّنيَّة أعزَّها الله وأكرمها ونصرها وأزلَّ أهل البدعة وناصريها آمين.

ثمَّ المكتوب في حوالي العشرة المبشَّرة رضوان الله عليهم أجمعين أسماء الملوك العثمانيَّة الاثنى عشر، مع الأدعية الصالحة بالفتوح والنصر وأنواع المحامد والكرامات.

وأمَّا المكتوب على سقف المصلَّى فوق رؤوس المصلِّين خلف المقام فالمركز لذلك من وسط القُبَّة المقرنسة لفظة: "هو" ثمَّ الآية الكريمة: "**هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**"(١٦٤) لمعنى ألقاه [٤٢] الوارد المقامي، وإفاضة الشاهد المكي كما سبق ذكره في المشهد الخامس في حكاية الرؤيا، ثمَّ رسم حول الآية اسم "هو" في اثنى عشر مُقرنساً على عدد البروج والأئمة، ثمَّ رُسِم اسم الجلالة في ثمانية وعشرين مُقرنساً. في كل مُقرنس جلالة بالتذهيب وخط النسخ الجلي على عدد منازل القمريَّة، ثمَّ المكتوب تحته في صورة التربيع قوله تعالى: "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ" إلى قوله: "سَبِيلاً" ثمَّ المكتوب حوله في (دار ما دار) الصلَّوات الشَّريفة المحمَّديَّة والإبراهيميَّة، ثمَّ المكتوب فوق الشَّبابيك على الألواح الأوليَّة المتصلة بها قوله تعالى: "**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ**" إلى قوله:

---

(١٦٣) البقرة آية (١٢٥).

(١٦٤) الحديد آية (٣).

"وَمِنَ الصَالِحِيْنَ". وأبقينا من تلك الألواح الأربعة لوحاً خلف المقام وفوق العمودين في وجهة التاريخ النظمي من الأبيات، عرض على السلطان ليرسل من أنفاس حضرته كما أرسل تاريخ الحرم الشريف إن شاء الله تعالى. ثمَّ المكتوب حول الرفرف الشريف سيِّدة آي القرآن (آية الكرسي) في (دار ما دار). فتلك الخطوط كلُّها جليَّة نسخيَّة ياقوتيَّة بالذهب واللاَّذورد العالي مع الشموسات بين الخطوط على وجه التربيع الهندسيَّة الصناعيَّة ما رُسم وما سبق بمثلها في المعابد والمقامات بتحيُّر النَّاظرون في حُسن صنعتها وتحسينها حتَّى قيل في وصفها ومدحها:

كأنه قصرُ عدن حلَّ من دار المقام
حطَّته أيد أملاك بتذهيب وأقلام

كما سبق ذكره. أمَّا قاعدة المقام فهي الخضراء بالخضرة الصينيَّة العالية التي لا تمحي من الماء. جُرِّب ذلك، تذهب بأبصار النَّاظرين من كمال خضرتها. اخترعه أستاذ صالح من أهل بخاري، خدم أهل الصين في تحصيل صنعة النُّقوش وتفرَّد بها، ورأيتُ أهل الصنعة بمكَّة هجروه من العمل حسداً عليه، فاطلعت عليه واستعملته في خدمة المقام فاشتهر وفاق استخدامه بعد ذلك بنو الحسن في النقوش. وأمَّا المعلَّق في قبَّة المصلَّى خلف المقام فوق رؤوس المصلِّين قنديلٌ مُذهَبٌ مكتوبٌ عليه آية النُّور مع وفق. هو في (دار ما دار) وحول القنديل خاتم السليماني مُزيَّن ببيض النَّعَامة وأنواع التعليقات الذهبية والإبراشيميَّة ما عُلِّق إلى الآن مثلها في مقامات الحرم وقبابها. ومكتوبٌ على بيضةٍ منها بيتان في (دار ما دار) بخط بياضٍ على لونٍ أخضرٍ:

تعظيم المقام لله لمرادي ومرامي
فأرَّخ لي خليلي لكم تعمير مقامي

تاريخ على لسان السُّلطان بلسان الخليل عليه السَّلام، وهو من أبدع التَّواريخ عن هذا الفنِّ لفظاً ومعنىً، وأمَّا العمودان فهما اليوم على قاعدتي الخضراء كانا من الحجر الصَّوان الأزرق. نحن بيضناها بصبغ الصينية المائلة إلى الخضرة في غاية الحسن والتلوُّن النقشي الصِّناعي وعلى فوق رؤوسهما قاعدتان من المرمر البياض،

وكانتا قبل ذلك من الخشب الهندي فاندرس، فذهبناهما بأنواع الصَّنائع والنُّقوش والخطوط من الأحاديث المتعلِّقة بالبيت المحرَّم وحوالي الأحاديث أبيات متعلِّقة بمدح البيت والمقام. أمَّا العمود الأوَّل من قبل المنبر الشَّريف. فمكتوب على رأسه في التربيع الحديث الأحمدي: "من حجَّ فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي". وحول الحديث الشريف مكتوب ثمانية أبيات في مدح المقام ووصفه [٤٣]:

يا حبَّذا من مقام	لإبراهيم عليه السلام
طوبى من مصلَّى	فيه آياتٌ عِظام
كان كرسي أبينا	سار من روض السَّلام
كأنه قصر عدن	حلَّ من دار المقام
يا آية مكيَّة	استمرَّت بالدَّوام
جدَّده سلطاننا	بإعزاز واحترام
ذا مراد بن سليم	قطبُ عصرٍ وإمام
نبهه روح قدس	"ها قد عمَّرتُ مقام"(١٦٥)

وأمَّا العمود من قبل زمزم فمكتوبٌ على قاعدته العُليا مقابلاً لأخيه كالفرقدان مكتوب ثمانية أبيات في مدح المقام أيضاً ومدح أهل البيت الذين أوجب الله علينا مودَّتهم واحترامهم في كتابه الكريم بقوله: **﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾** (١٦٦) وهم: آل علي وعقيل وجعفر وعبَّاس الذين حُرِّمت عليهم الصَّدقة لكونها من أوساخ النَّاس تعظيماً واحتراماً لهم. نفعنا الله بهم ومودَّتهم:

ذاك مقام مصلَّى	يا حبَّذا من مقام
يا حبَّذا من وفود	من هُمام وإمام

(١٦٥) حساب جمَّل، والمقصود به مقابلة الحروف لأرقام معينة، بحيث تعطي في النهاية التاريخ المقصود. ومضمونه: (هـ= ٥) ، (أ=١) ، (ق=١٠٠) ، (د= ٤) ، (ع =٧٠)، (م = ٤٠) ، (ر = ٢٠٠)، (ت = ٤٠٠)، (م = ٤٠)، (ق = ١٠٠)، (أ = ١) ، (م = ٤٠). فمقدار هذه الأرقام سنة (١٠٠١هـ) وهى السنة التي عُمِّر فيها المقام.

(١٦٦) الشورى من الآية (٢٣).

أهـــل بيتـــه ســـفينةٌ ومـــــــأمن للأنـــــــام
أهـــل بيــــت أئمَّـــة وهـــــداة مــــن ظـــلام
ســـيد غـــوث زمانـــه ألحقتـــــا بخــــــدَّام
حســـن فـــاز بحُســـنى وزيــــادة فــــي السَّـــلام
ســـــادتنا كالثُّريَّـــا لا يزالـــــوا بانتظـــــام
حُـــبُّهم فـــرضٌ علينـــا يـــا حريمـــي بـــاحترام

أقول: وأمَّا الأركان الأربعة من الأحجار الصوانيَّة حوالي المقام الداخلاني تتصـل شبابيك الرُّصاص إليها من كل جانب. فمكتوب على وجوهها من الظـاهر أسـماءُ الملوك الماضية وما وصل علمنا أنَّها لمن غبراتها مكتوبٌ في واحدٍ سلطان قلاوون مع تاريخه ودعائه. وعلى الآخر اسم الملك الأشرف، وعلى الثالث اسم قايتبـاى، وعلى الرابع اسم الغوري. ومكتوب على الباب اسم المرحوم السَّعيد الشَّهيد سلطان ليمان عليه الرحمة والرضوان أنَّه عمَّر بعض مواضعه في أوائل خلافته.

وأمَّا سلطان صدر الألف ورأس المائة فقد جدَّد المقام كلَّـه، قريـب مـن ستمائة سنة ما جَدَّده أحدٌ بالكلِّيَّة. فالحمد لله أكمل حمد وأتمُّه. قـد جـدَّدناه بهمتـه القدسيَّة [و]كتبنا اسمه الشريف على القواعد والأعمد والألواح مع أسـماء أجـداده العظام في وجه المقام وداخله، وكشفنا عن آثار الملوك وكانت الخطوط ممحـوَّة، فأحيينا آثارهم بتذهيب الألواح وتجليتها. فأثنى النَّاسُ بذلك على سلطان الوقت ثناءً جميلاً، حيث أحيا آثار الملوك الإسلاميَّة بذلك المحل الشـريف والمقـام المنيـف، فازداد بذلك محاسناً حيث ظهرت فيه خدمات الملوك فقيل في وصفهم:

يـــا حبَّـــذا مـــن خـــادم بـــــذا البلـــــد الحــــرام
يـــا حبَّـــذا مـــن دُولٍ مــــن ســــلاطين العظــــام
نـــال كـــلٌ بمـــراده فــــيض فضــــلٍ بســــلام
رحمـــــة الله علـــــيهم بـــــانهلال وانســــجام [٤٤]

{المقصد الثالث}

في ذرع المقام

أقولُ: قد جرت سُنَّة الأكابر من علماء المؤرخين كالأزرقي وهو سيِّدهم وقدوتهم في أخبار التواريخ ذرع المقامات المكيَّة وزرع المشاعر الشريفة البكيَّة فهو من جملة أحكام النُسُك.

حكى الأزرقي في تاريخه: أمَّا المقام فذرعه ذراع طولاً، وهو مُربَّعٌ. سعة أعلاه أربع عشرة أصبعاً في أربع عشرة أصبعاً، ومن أسفله مثل ذلك. وله من نواحيه كلِّها تسع أصابع، وعرضه عشر أصابع في عشر أصابع طولاً. وعرض حجر المقام من نواحيه إحدى وعشرين أصبعاً، ووسطه مربَّع. والقدمان داخلتان في الحجر سبع أصابع ودخولهما منحرفين وبين القدمين من الحجر أصبعان، ووسطه قد استرق من التمسُّح به. وعلى المقام صندوق مسقَّف مربَّع من حديد، وفي ظهره سلسلتان يدخلان في أسفل الصندوق ويقفل عليهما فهما قفلان. الأوَّل من خارج المقام، والثَّاني من الداخل. وهذا الموضع الذي فيه المقام اليوم سنة إحدى وألف كان في ذلك الموضع في زمان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وبعده كما مرَّ ذكره. فلم يُغيَّر من موضعه إلاَّ أنَّه جاء سيل عظيم فاحتمل المقام من موضعه فذهب به إلى أسفل مكَّة، فوجدوه وربطوه في أستار الكعبة في وجهها، وكتبوا بذلك إلى سيِّدنا عمر الفاروق رضي الله عنه. فأقبل بنفسه من [الـ]مدينة فَزِعاً وجلاً دخل بعمرة في رمضان. وقد اختفى موضعه وعفاه السَّيل، فجمع جميع النَّاس فسألهم عن موضع المقام وتشاوروا في وضعه محلَّه. وذرعوا جوانبه التي كانت مذروعاً مضبوطاً في زمان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فأثبت بمحضر أعيان الصَّحابة بعد الثُّبوت والحجَّة فردَّه أمير المؤمنين إلى موضعه بحجَّة وثبوت، وبنى المصلَّى حواليه كما كان قبل ذلك.

أمَّا بعد. أكمل الحمد بلسان الحمد. يقول العبد الضعيف حالاً، والمنكسر النحيف بالاً: لمَّا وكَّله سلطان العصر الألفيّ المراديّ بلَّغه الله في الدَّارين مراداته بتعمير المقام فشرع فيه بعد الاستئذان من السيِّد الحسنيّ مولانا السيِّد حسن أفاض

الله له الحسنى وزيادة، ورضي عن جميع السَّادة القادة إلى صراط مستقيم بعد ما كان متوقِّفاً في ذلك لقلَّة المصروف في يدي. فمال المقام إلى السُّقوط فشاورت أعيان البلد وأحضرتهم عند المقام وأشهدتهم. وذرعه المهندسون من جميع الجوانب على ما كان عليه بلا زيادة ولا نقصان لما جرت السُّنَّة العمريَّة في ذلك، فتمسكتُ بها وسلكتُ سُبُلَها كما قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: "عليكم بسنتي وسنَّة [الـ]خلفاء الراشدين" - رضوان الله عليهم أجمعين.

قال الشيخ عزُّ الدين رحمه الله: حرَّرتُ لمَّا كنت بمكَّة سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة مقدار ارتفاع المقام من الأرض فكان نصف ذراع وربع ذراع. بالذِّراع المستعمل في القماش، وأعلى المقام مُربَّع من كلِّ جهةٍ نصف ذراع وربع، وموضع عرض القدمين ملتبسٌ بفضَّة. وعمقه فوق الفضَّة سبع قراريط ونصف قيراطٍ. والمقام اليوم [٤٥] في صندوق من حديد حوله شبَّاك من حديد، وعرض الشبَّاك عن يمين المصلِّي وعن يساره خمسة أذرع وثُمن ذراع، وطوله إلى جهة الكعبة خمسة أذرع إلاَّ قراطين. وخلف الشبَّاك المصلَّى، وهو محوَّر بعمودين من حجارة. وحجرين من جانبي المصلَّى، وطول المصلَّى خمسة أذرع وسدس ذراع. ومن صندوق الشبَّاك الذي داخل المقام إلى شاذروان الكعبة عشرون ذراعاً وثلثا ذراع وثمن ذراع. كل ذلك بالذراع المعهود، انتهى كلام الشيخ في بحر العميق.

وأمَّا الذِّراع المعهود أربعة وعشرون أصبعاً مضمومة سوى الإبهام بعدد حروف "لا إله إلاَّ الله محمد رسول الله" والأصبع ست شعيرات. والشعيرات ست شعراتٍ من شعر البغل. كذا نقله الإمام محمد الدِّيار بكري صاحب تاريخ الخميس في رسالة ذرع الكعبة شرَّفها الله تعالى إلى يوم القرار.

{المقصد الرَّابع}

حُجَّة المقام

في حجة المقام وذرعه عند البناء المرادي الإمامي الغوثي سلطان صدر الألف والمائة أعلى الله أعلام دولته وحفظ حدود مملكته بعين عنايته إلى يوم القرار أمَّا بعد.

لمَّا كُتبت الحُجَّة المكيَّة عند أهل الحرم بعد ما ذرعه المهندسون وخمَّنه البناءون أثبتت الحُجَّة في السِّجل المحفوظ بمكَّة المشرَّفة زادها الله تشريفاً وتعظيماً، فاستكتبتُ الحجَّة وختمتُ بها رسالتي تبرُكاً بحضرة المقام وتذكيراً للخدمة العالية العُمريَّة اقتداء بها في ذلك. والله الموفق الفيَّاض الفتَّاح، فهي صورتها بعينها كما هي في أصلها من غير زيادة ولا نقصان. والله الولي المستعان وعليه التُّكلان.

{نصُّ الحُجَّة }

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسَّلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين. سبب تحرير الحروف وموجب تسطير الصنوف وهو أنَّه لمَّا ورد الحكم الشَّريف العالي السلطاني والأمر المنيف الخاقاني لا زال نافذاً بعون الملك الصمداني المؤرَّخ بسنة إحدى وألف من الهجرة الشَّريفة المتضمن لترميم مقام سيدنا إبراهيم عليه السَّلام على يد قُدوة الفضلاء المكْرَمين فخر المشايخ والصُّلحاء المعتقدين ذي الفضائل العديدة والكمالات الفريدة مولانا الشيخ علي دده بن مصطفى البسنوي مولداً، والخلوتي الملامي مشهداً كان الله له فيما يرضاه وزاد بفيض فضله صلاحه وتقواه بمباشرة فخر النُّواب الكرام خادم الشريعة الأحمديَّة ببلد الله الحرام عبد الرحمن الحنفي المولي يومئذ نيابةً وشيخ الحرم المكي خلافةً أدام الله تعالى فضله، وكان المبلغ المعيَّن للصرف على ترميم المقام المنيف ثلاثمائة دينار من الذَّهب السلطاني العثماني من غير زيادة ولا نقصان. فأراد مولانا الشيخ علي دده الشروع في ترميم المقام الشريف، وحضر نائب الوقت مولانا عبد الرحمن وشيخ

الحرم المكي خلافةً وجماعة من السَّادة العلماء والفقهاء والأعيان وأرباب الصَّنائع من المهندسين والبناءين والنجَّارين وأهل الخبرة، وفُتح المقام الشريف وشرع المعلمون في إزالة ما تلف من أخشاب المقام فوجدوا أكثر الأخشاب قد أكلتها الدُودة المُعبَّرُ عنها بالأَرَضَةِ وتلفت بالكليَّة وصارت باطن الأخشاب منخولاً كالنخالة [٤٦] وكلَّما مسكوا قطعاً من الخشب تفتت من أيديهم، ومالت المقام إلى السقوط بالكليَّة ووجدوا الدعائم الصَّوان المركب فيها الشبابيك النُحاس التي هي مقصورة المقام الشريف قد اختلَّت ومالت عن موضعها. فمال أحدها إلى جهة الكعبة الشريفة أربعة قراريط بالميزان، ومال الدَّعائم الثانية المقابلة لها نحو ثلاثة قراريط، وما كان ماسك المقام عن السُّقوط إلاَّ القُدرة الإلهيَّة. فلمَّا رأى المعلمون المذكورون ومن حضر ذلك المحلِّ الشريف من الجماعة المُشار إليهم فعاينوا تلف الأخشاب كلها وميلان الدَّعائم المذكورة وشاهدوا ذلك مشاهدةً تامَّةً اتفقوا كُلُّهم وأجمع رأيهم على أنَّه لا يمكن ترميم المقام الشَّريف، وأنَّه لابدَّ من نقضه بالكليَّة وتجديده وإعادته على حكم ما كان عليه وهو عامر. وذرع المعلِّمون المذكورون أعلاه المقام الشريف، فكان ذرع محلِّ المصلَّى الذي يصلَّى فيه الإمام من باب المقصورة إلى ما يلي الشرق أربعة أذرع إلاَّ ثلث ذراع بذراع الاستنبولي. وذرع ما بين العمودين المكتنفين لمحلِّ الإمام ثلاثة أذرع ونصف ذراع، وذرع دائرة مقصورة المقام الشَّريف من الشرق إلى الغرب ثلاثة أذرع ونصف وكذلك بقيَّة جهاته، فإنَّه في حكم التَّربيع، وذرع طول الدَّعائم المُركَّب فيها الشبابيك المقصورة ثلاثة ونصف ذراع، كلُّ ذلك بالذراع المذكور أعلاه. فلَزم نقض جميع آلات المقام الشَّريف من الأخشاب والشَّبابيك والدَّعائم كلِّها ونقوشها وزخرفها ورضاضها([١٦٧]) ونحو ذلك بالكليَّة. فشرع المعلمون في تجديد المقام وعمارته بالمؤنة الطَّيبة والأخشاب المتقنة من السَّاج وغيره. وزخرفت وذُهِّبت سقوفه وأطرافه وحواشيه ورفافه وقبابه وأركانه ودعائمه بالذَّهب واللاَّذورد وأنواع الزخرفة بالكتابة الحسنة والخطوط الجليَّة النسخيَّة الياقوتيَّة من الآيات القرآنيَّة وغيرها من الأدعية والتَّصلية والأسماء

([١٦٧]) فتاتها.

الحسنى. ولكنّه على حكم الأوّل من الطُّول والعرض والعلوّ والسُّمك من غير زيادة ولا نُقصان، ولا يجوز ذلك؛ لأنّه توقيفيٌّ شرعيٌّ غير أنّه زيد بالضّعف على الهيئة الأوليّة من التّحسين والتّذهيب وأنواع الصّنائع الخطيّة والنقشيّة وتمّت عمارته بحمد الله وعونه وحُسن توفيقه في مُدّة يسيرة لكمال بذل الهمّة التّامة والجهد الكليّ من مولانا الشيخ علي دده المتكلّم على العمارة في ذلك واجتهاده وملازمته على الحضور والاطّلاع على العمارة المذكورة في غالب السّاعات وأكثر الأوقات. فشكر الله تعالى سعيّه وبلّغه سائر الإرادات وتضاعف الثواب والدُّعاء في صحائف الحضرة الشريفة العالية السلطانيّة العثمانيّة الخاقانيّة الأعدليّة الأفخميّة الأكرميّة المرادخانيّة خلّد الله تعالى مُلكَها وسلطانها وأدام على كافة البرايا عدلها وإنصافها وإحسانها ونصر جيوشها وجنودها وأعوانها لمحمد وآله وصحبه أجمعين آمين اللهم آمين. فكان جملة المصروف على العمارة المقاميّة الإبراهيمية مبلغاً قدره ثمانمائة دينار وثلاثة عشر ذهباً من الذهب السُّلطاني الجديد. من ذلك ما أرسل من الباب العالي لأجل مرمّة المقام [٤٧] الشريف مع الشيخ علي دده المشار إليه ثلاثمائة دينار، ومن ذلك ما استقرضه مولانا الشيخ علي دده على ذمّته وأصرفه على عمارة المقام الشريف المتختّم بكمال التجديد عمارته للمقتضى المذكور خمسمائة دينار وثلاثة عشر ديناراً ذهباً سلطانيًّا جديداً فشكر الله سعيه وكفاه بذلك بين المشايخ فخراً. وعلى ذلك وقع التحرير من أواخر ذي القعدة الحرام سنة إحدى بعد الألف من الهجرة الشريفة النبويّة بالتّاريخ الإجماعيّ العمريّ الصّحابيّ رضي الله عنهم والحمد لله وحده والصلاة والسّلام على من لا نبي بعده.

{شهود الحال بذلك}

(١) مولانا الشيخ عبد الكريم القطبي الحنفي المكي المفتي ببلد الله الحرام. (٢) مولانا الشيخ محمد أفندي. المنفصل عن قضاء يمن بعدن المجاور [الـ]بيت الحرام. (٣) حسن جلبي الخطيب بجامع سلطان بايزيد المرحوم الاسلامبولي الأيوبي. (٤) علي أغا مهركن البسنوي المتفرّقة من الباب العالي أعلى الله أعلامه وأنصاره. (٥) مولانا الشيخ محمد الشيبي الحجبي البيتي المكي فاتح البيت الحرام.

(٦) مولانا عبد الرحمن الحنفي النائب سابقاً وشيخ الحرم المكي خلافةً مـــع أخيـــه علي جلبي نائب جدَّة. (٧) مصطفى جلبي البوديني مقاطعجي طرابلس حينئذ مـــن الحجاج بتلك السَّنة المباركة. (٨) مرتضا أغا أمين صره مكيَّة فـــي تلـــك السَّـــنة المباركة. وغيرهم من الحاضـــرين مـــن الحجـــاج مـــن المجـــاورين والمقيمـــين والمسافرين. الحمد لله أكمل حمد وأتمَّه بلسان حمد الحمد.

قد تمَّ الكتاب المقامي المكي بمشهد الشهير بمشهد زين العابدين

في أوَّل شهر ربيع الأوَّل سنة اثنى وألف عند قدومي

من سفر الحجِّ. وأنا الفقير تراب أقدام الفقراء

وغبار نعال خيل مجاهدين علي دده

البسنوي مولداً والخلوتي

الملامي مشهداً

كان الله له

فيما يرضاه

دنياه وأخراه

آمين

الفهرس

تم ولله الحمد